كتب دراسية مقتوسا

منارة الأقداس
في
شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس

تأليف
القس منقريوس عوض الله
كاهن كنيسة بني مزار
واستاذ علم الطقوس بالكلية الاكليريكية سابقا

المطبعة التجارية الحديثة بالفجالة

1A-001071-A

www.Saint-Mary.net

GIFT PRESENTED
BY FR. BISHOY DEMETRY
TO LIBRARY OF ST. MARY
COPTIC CHURCH

منارة الأقداس

في

شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس

الجزء الأول

الطبعة الأولى { ١٦٦٤ / ١٩٤٧ سنة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تأليف
القس منقريوس عوض الله
كاهن كنيسة بني مزار
واستاذ علم الطقوس بالكلية الاكليريكية سابقاً

المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني

نيافة الحبر الجليل صاحب القداسة

«الأنبا اثناسيوس مطران كرسي بني سويف والبهنسا

نستمد من قداسته البركة وصالح الدعوات

المؤلف

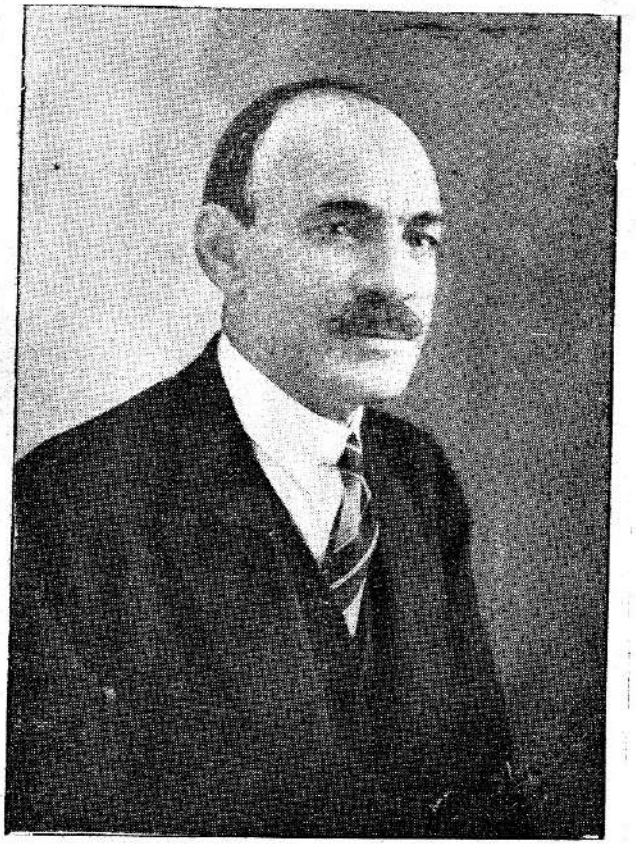

الأستاذ الكبير والمربي الفاضل حبيب بك جرجس

الى أستاذى الطبيب حبيب بك جرجس مدير الكلية الأكليريكية

جدير بالإنسان أن يعترف بمن أسدوا المعروف إليه ، وبمن لهم الفضل عليه فقد علمتنا من روحك العالية ، وأملك المتجدد رغم ماصادفك من متاعب، وهمنا التى لا تعرف التوانى ، وجهادك فى سبيل كنيستك ، ونشاطك وروحك الفذ ما يجعلنا نخجل من قصورنا ونحن بعد فى شبابنا ، فكلما أعوزنا الحماس وشعر بالفتور أو الخور أو اليأس يتطرق إلى قلوبنا، تأملناك فى روحك القوية ، وتقوى النورانية وجهادك فى صمتك، وجدك العجيب ما يضفى علينا قوة وأملا وحياة .

إليك أقدم ثمرة تعليمك « كتاب منارة الأقداس » جاهدت فى أدائه جـ كبيراً واستذكرت وبحثت وفتشت بطون الكتب والكنائس القديمة فأرجو تتقبله منى أنا المدين إليك بكل ما علمتنى ؟

القس منقريوس عوض

مقدمة الكتاب

لحضرة الاستاذ الكبير حبيب بك جرجس مدير الكلية الاكليريكية

الديانة المسيحية روح وحياة ، والروح كامنة خفية لا تنظر ، والحياة سرية لا تقع تحت الحواس . ولما كان الإنسان روحا وجسداً ، كان لابد للديانة من طقوس تظهر بها روحانيتها .

والطقوس قديمة جداً كقدم الديانة ، وجدت ونشأت عند نشأتها . وكانت طقوس الدين المسيحي في بداءته بسيطة ، لأن اجتماعات الكنيسة كانت في زمن جهادها واضطهادها في المغاير والكهوف والبيوت ، ولما تم انتصارها وبنيت الكنائس أخذت طقوسها ورموزها في الظهور والانتشار ، والرسل والاباء الرسوليون تلاميذهم هم الذين سلموها للمؤمنين الذين آمنوا بها وتوارثوها وحافظوا عليها كوديعة مقدسة وتراث ثمين ، وأصبحت للطقوس والتقاليد قيمتها العظمى .

وقد قلنا في كتابنا « الوسائل العملية للإصلاحات القبطية » صفحتى ٤٤ و ٤٥ ما يأتي :—

« اشتهرت كنيستنا القبطية منذ نشأتها بشدة محافظتها على التمسك بطقوسها ، التي رتبت بغاية الحكمة ووضعت مطابقة للقوانين الرسولية والكنسية . ومبادىء الكنيسة القبطية مشهود لها بأنها المبادىء الحقيقية التي تسلمناها من ابائنا الرسل الأطهار لم نزد عليها شيئاً ولم ننقص منها حرفاً . وطقوسها في غاية الجمال والحكمة . وإذا شئت أن ترى الكنيسة الرسولية ، التي كانت في القرون الأولى ، فلا تجد صورة واضحة جلية إلا في كنيستك . والكنيسة من حيث تاريخها مجيدة ، وتراجم حياة رجالها وشهدائها تشهد بذلك ، فإن كان هناك من حاجة الى تجديد فهو تجديد في أرواح شعبها وتجديد في نهضتهم ، ونموهم في الحياة الروحية .

ومن مفاخر كنيستنا ، انها الكنيسة الوحيدة التي ظلت كل هذه القرون محافظة على تقاليدها ، وفي هذه المحافظة كل مجدها وقوتها ، واني لأعتقد أنها إذا بدأت في

تغيير شيء من طقوسها وتقاليدها . يتطرق الوهن والضعف في قوتها . لأن تغيير نظمنا والبعد عن تقاليدنا وعاداتنا محاولة لإبدال ماضي أمتنا بماضي شعب آخر . فان لكل شعب تاريخا ، وما استعارت أمة عادات غيرها إلا حورت كيانها وغيرته . ولا دوام لروح الاباء والاجداد إلا بالتمسك بها .

وإليك ما قاله الفيلسوف جوستاف لوبون الفرنسي في هذا الصدد « الماضي لايموت أبداً فهو حي فينا ، وهو أقدم مرشد في حياة الأفراد والأمم . وما روح الأحياء إلا مؤلفة من أفكار الأموات » وما أحسن قوله « من عوامل القوة في الأمة الاحتفاظ بنظاماتها الأصلية وتقاليدها الأولية والتأني في تعديلها شيئاً فشيئاً . وقلما وجد بين الأمم من حقق هذا المقصد إلا الرومان قديماً والإنكليز في هذا العصر » ولو علم هذا الفيلسوف ما عرفت به الكنيسة القبطية من التمسك بتقاليدها القديمة والعريقة لاستشهد بها أكثر مما استشهد بالرومان أو الانكليز . وقوله « ما حاولت أمة أن تنخلع عن ماضيها ، إلا قلب حالها رأساً على عقب » وقوله « الطقوس والرموز أعني الاحتفالات والأعلام والأعياد العامة والعرف المألوف في علاقات الناس بعضهم مع بعض ، كلها فوق إرادة الانسان ، وهي أقوى سند تقوم عليه الحياة الدينية والاجتماعية ، ومن ظن انه أكبر من أن يتقيد بطقوس أمة واحتقر تقاليدها فهو أجنبي عنها » وقوله « إنما تصير المعتقدات الفردية عامة بعامل الطقوس والسنن ، ويقوم المعتقد الديني على اليقين ولكنه لايدوم إلا بالطقوس والتقاليد » وبلغ من أخذ الطقوس والرموز بالنفوس انها تبقى بعد زوال المعتقد الذي حدثت لأجله » وقال أيضاً « التقاليد عبارة عن ماضي الأمة في أفكارها وحاجاتها ومشاعرها فهي تشخص روح الشعب ولها في القوم تأثير عظيم » ، وقال « إن كثيرين من أقطاب السياسة لايزالون على أفكار أهل القرن الماضي ممن كانوا يتخيلون أنه يتيسر للأمة أن تنخلع عن ماضيها وتنشيء نفسها من جديد غير مهتدية في ذلك إلا بنور العقل وحده وفاتهم ان الأمة جسم منتظم أوجده الماضي ، فهي كغيرها من الأجسام لا تستطيع

الانتقال من طور الى طور إلا بتراكم الوراثة فيها على مهل ، والذى يقود الناس ولا سيما إذا اجتمعوا إنما هى التقاليد، ولا يسهل عليهم أن يغيروا منها سوى الأسماء والأشكال . . ولولا التقاليد ما كان هناك شيء يقال له روح قومية ولا حضارة ممكنة . . والحاصل انه لا مدنية إلا بالتقاليد . . لذلك كان أكبر النعم التى يجب أن تصبو إليها الأمة هى المحافظة على النظامات التى ورثتها ، والنتيجة . ان من لا تقاليد له لا تاريخ له .

وفى صفحة ١١٢ من الوسائل العملية قلنا (١) ان طقوس الكنيسة قديمة جداً وتستحق كل إكرام فيجب المحافظة عليها فى كل أجزائها ورسومها ولا يجوز تغيير شيء فيها أو زيادة عليها أو تعديلها (٢) يجب أن تكون الطقوس كلها واحدة فى سائر كنائسنا وفى جميع الكنائس التابعة للكرازة المرقسية وأن تتم على نسق واحد بلا زيادة أو نقصان (٣) ولا يجوز لأية هيئة أو فرد استعمال صلوات أو تسابيح أو ترانيم أو أشكال عبـــادة إلا المتبعة فى كنائسنا (٤) وعلى الكهنة أن يشرحوا للشعب معانى طقوس الكنيسة وأغراضها وحكمتها فى ترتيبها ليكونوا ملمين بها (٥) تكلف الكلية اللاهوتية بوضع كتاب جامع لجميع طقوس الكنيسة بالإيضاح الكافى ليدرسه كل كاهن حتى لا يخرج عما هو فيه .

ولما اخترنا جناب القمص منقريوس عوض الله أستاذاً بالكلية الأكليريكية لتدريس الطقوس الكنسية ألفتنا نظره الى أهمية وضع هذا الكتاب لشرح كل طقس من طقوس الكنيسة . فقيامه بعمله ونشره لكتابه هذا انما هو عمل جليل جدير بالثناء والتقدير ويعد أساساً من أسس تدعيم الكنيسة .

فلحضرته من الكلية الأكليريكية كل شكر واحترام . بارك الله فى جهوده وكللها بالنجاح ؟

حبيب جرجس
مدير الكلية الأكليريكية

بسم الاب والابن والروح القدس الاله واحد آمين

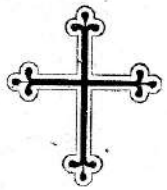

كلمة لا بد منها

لقد اشتهرت كنيستنا القبطية المحبوبة بين كنائس العالم بثباتها على تقاليدها ومحافظتها على طقوسها فلم تغير ولم تبدل ، حتى وصفها بعض المتطرفين بالجمود وعدم التطور مع العصر ! فهى لا زالت تحافظ على الشكل والوضع الرسولى كما تسلمته من مؤسسها وكاروزها القديس مرقس الانجيلى .

وكأنما يحسب هؤلاء المعارضون الذين موضة من الموضات يتغير بمرور الزمن، وليس بغريب على مثل هؤلاء المتسامحين فى عقيدتهم ونظام كنيستهم أن يفعلوا هذا ما داموا لم يتورعوا أخيراً حتى عن التغيير فى نصوص الكتاب المقدس نفسه !!!(١)

والواقع أن العقيدة الدينة هى رسم ونظام لكل الأجيال ولكل مكان وهى أمانة تسلمها الشهداء وسلموها للأبناء مسورة بدمائهم الطاهرة فكل تغيير أو تبديل فى عقيدة الكنيسة وتعاليمها انما هو استهانة مؤسفة بتلك الدماء الزكية فليست العقيدة والتعاليم الكنسية ملكا لانسان ولا هى ملكا لجيل بل هى وديعة نحافظ عليها ونسلمها كما هى ، وكل من تحدثه نفسه بتغيير ما انما هو دخيل خائن لكنيسته .

أما الذين يخرجون عن عقيدتهم الأرثوذكسية ليتعلموا تعاليم غريبة فهم بلا شك يطعنون أمهم الكنيسة فى الصميم ، هم وصمة عار فى تاريخ الأقباط استهزأوا بدماء أجدادهم وتسرعوا وراء دعوة خارجة تاركين كنيستهم تندب أولادهم العاصين .

وانى كمعلم وكاهن أقرر أنى ما رأيت كائناً ترك كنيسته القبطية وارتمى فى أحضان

(١) أخبرت جريدة المقطم بتاريخ ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ عن جريدة الهدى العربية فى نيويورك بتكوين جمعية فى مدينة سيليزبرغ بسويسرا لتحوير نص التوراة والانجيل وازالة الآيات التى تصف اعتداء اليهود على السيد المسيح . . .

الجمعيات الأجنبية لأنه رأى فى العقيدة الأرثوذكسية نقصاً انما لنقص فى ذات نفسه، فأغلب السبب هو لسوء تفاهم ضئيل بينه وبين كاهن الكنيسة أو بعض أعضائها وقد يكون السبب لنفع مادى ولا شك أن مثل هذه الظواهر هى مرض فى النفس جدير بالرعاة أن يعالجوه بالحكمة ما أمكن على أن الذى يؤسف له ان هذا الذى يترك عقيدته الأرثوذكسية ليس على شىء من الوفاء لكنيسته ، فأنه ليس بأرثوذكسى لأجل شخص من الأشخاص ولا لأجل نفع دنيوى انما هو أرثوذكسى لأنه ابن الكنيسة القبطية وتلميذ لمرقس الرسول مدين له بهذا الدين العزيز دين المسيح، الذى سلمه الينا ودفع ثمنه الغالى بسخاء دماء مهراقة فى شوارع الأسكندرية سنة ٦٨ م .

وانى كما أعيب على ذلك الذى يترك عقيدته الأرثوذكسية أعيب على تلك الطوائف الدخيلة على مصر والتى كرست ذاتها لا لخدمة الانسانية مع ترك الحرية العقائدية انما تستعمل مالها من سلطان مادى أو علمى وتتسلط على عقول الأطفال أو البسطاء لتشوه العقيدة الأرثوذكسية ـ عقيدة مرقس الرسول ـ وتعمل جهدها لتجعل هؤلاء الناس بروتستانت أو كاثوليك أو غيرهم . .

لو كان هناك احترام بين الكنائس ... لو كان هناك اعتبار لمجمع نيقية .... لما تجرأ بطرك من من بطاركة العالم أو أرسالية من أرساليات العالم أن تتعدى على أبرشية غيرها . . .

ولست ألوم على جماعة البروتستانت فى خروجهم على قوانين مجمع نيقية الذى وزع الأبرشيات وجعل لبابا الأسكندرية السلطان فى أبرشيته انما اللوم كل اللوم على بابا الكاثوليك فتلك كنيسة رسولية ككنيسة الأسكندرية ولكن بكل أسف لم تراع حرمة القوانين فتعدت وأرسلت كهنتها ومطارنتها فى أبرشية غير أبرشيتها وكسرت قول الرسول « انى لا أبنى على أساس لآخر »

الكنيسة القبطية أمنا فان ضعفت لا نتركها ولا نهملها ، إن مرضت نعمل لعلاجها وشفائها وإن الله الذى أحبها فى قوتها وشبابها لا ينساها فى كبرها وتعبها بل يجدد كالنسر شبابها فيبعث فى أبنائها فى هذا الجيل الجديد روحا طيبة وجهاداً وصبراً

حتى تعود إلى مجدها وتلبس رداء عزها وتتمتع بسلطانها فيفرح الرب بشعبه .

على أنى لما رأيت أن الكثيرين من شعب كنيستنا الناهض لا يعلمون شيئاً من طقس الصلوات فى كنيستنا وعلى الأخص القداس الالهى قمت بالقاء محاضرات فى عدة كنائس فطلب منى الكثيرون أن أسجل هذه المحاضرات فى كتاب حتى يسهل الرجوع اليه ويستفيد الجميع من جمال طقس كنيستهم .

وانى لا أنكر أن بعض الغيورين قد سبقونى فى هذا المضمار لكنهم قد خلطوا بين الطقس والعقيدة ... لذا توكلت على نعمة الله وتشجيع الغيورين من شعب كنيستى وواصلت الليل بالنهار وجبت فى أعماق هذه البحوث القيمة وسجلت كتابى هذا الذى أسميته « منارة الأقداس » وهو اسم من أسماء القداس الالهى فجاء بحمد الله كتابا ارتاح اليه ضميرى أرجو أن ينتفع منه الجميع ؟

المؤلف

الفصل الأول

التقليد

التقليد لغة معناه التمثيل والمحاكاة وفى الاصطلاح الكنسى هو نظام موضوع للعمل به على مثال ما عمل الآباء ويراعى فى التقليد الدقة التامة والسلامة من التغيير والتحوير ولا شك أن الأمور التى وصلت الينا بالتقليد هى فى درجة ما وصل الينا مكتتباً بل لا مغالاة اذا قلنا إن التقليد قد فاق الكتابة قدراً واعتباراً فقد قال الرسول وكان لى كثير لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم ولكننى أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فماً لفم ٣ يو ١٣، ١٤ ويقاس مجد الكنيسة بدرجة محافظتها على تقاليد آبائها . وأن كنيسة بلا تقاليد لهى بلا أصل وبلا تاريخ فهى كنيسة مرتجلة مستحدثة قريبة من الاضمحلال بل من الزوال . وكما تفخر الممالك بتقاليدها وتحافظ عليها جيلا بعد جيل وتدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة وتعتبر أن فى حفظها حفظا لشرفها وفى مخالفتها ضياعاً لمجدها ، كذا الكنيسة القبطية قد حافظت بأمانة تامة على تقاليدها التى تسلمتها من الرسل أباً عن جد .

الحاجة الى التقليد

ولقد رسخت هذه التقاليد فى رؤوس ناظريها وفى أذهانهم وهل يستطيع انيانوس أن ينسى ما سلمه أياه مرقس الرسول وهل يستطيع ميليوس أن يخالف ما سلمه اياه انيانوس وهكذا . . من أجل هذا جعل الآباء للتقليد منزلته السامية لأنهم عرفوا شرفه وقدره وأن بدونه ما كنا نستطيع أن نتسلم الأمانة المقدسة ولو شككنا فى التقليد لما آمنا فى شىء ما بل لشككنا فى الانجيل ذاته وإلا فمن يستطيع أن يبرهن لنا بالتأكيد أن الانجيل الذى فى أيدينا هو الذى سمعه الرسل من السيد المسيح وكتبوه بأنفسهم لو لم يقنعنا بذلك التقليد وصوت الكنيسة الجامعة ؟ . . . ان قالوا كيف لا تعرف كلام الله وهو بين كالنور فى الدجى أقول

وإن كان الأمر كذلك فلماذا رفض لوثر الرسالة الى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية ورسالتى يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا وسفر الرؤيا ثم عاد هو نفسه فقبل بعضها وعاد تابعوه فقبلوا الجميع ! ! . . بل لماذا نقول بصحة انجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ونرفض انجيل برنابا وانجيل اندراوس وبولس ويعقوب الكبير وأعمال الرسل الاخرى وغير ذلك كثير ؟ . .

من علمنا الاتجاه للشرق . . من حذرنا من تعدد الزوجات . . من أمرنا بحفظ الأحد بدل السبت . . من نظم لنا الأصوام . . من رتب لنا القداس وخدمته المطولة . . من أوصل الينا قوانين الرسل التى وضعوها فى علية صهيون . . من يخبرنا عن ملابس الكهنوت وأوانى الخدمة ما لم يقنعنا بذلك تقليد الكنيسة . فمن يقاوم التقليد إذاً انما يقاوم ترتيب الله ونظامه الذى وضعه فى كنيسته لأن كل شىء فيها مقام على الإيمان بالتقليد والتسليم الرسولى .

التقليد أمر الهى

لا شك أن الله تعالى قد أمر آدم عدة أوامر بعد سقوطه وقد انطوت هذه على كيفية عبادته تعالى ولم تكتب هذه الأوامر فى الكتاب المقدس ولسنا نعرف ماهى بالضبط ولكن هناك حقيقتان لا ريب فيهما أولا وجودها وثانياً أن من يخالفها كان عرضة لغضب الله عليه . وهذا حال قايين الذى لم يشأ أن يقدم ذبيحة دموية كأخيه هابيل بل قدم من ثمار حقله ، لم يكن هناك اختلاف بين الأخوين ، ولا نشك فى اخلاصهما لله ، ولكن كان الفارق أن واحداً حافظ على رسم الذبيحة والآخر خالف .

ولقد حافظ الخلف على وصايا السلف وتناقلوها صحيحة جيلا بعد جيل ، فآدم سلمها لشيث ومتوشالخ، ومتوشالخ سلمها لسام ، وسام سلمها لاسحق واسحق للاوى، ولاوى لقهات وهكذا. وفى ذلك يقول داود النبى «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعمل عملته فى أيامهم منذ القدم (مز ٤٤ : ١) وهذا ما يحل أمامنا نقطة غامضة فى تاريخ الشعوب القديمة وما عرفناه عن عباداتها فمن علم المصريين عقيدة الثالوث ! ؟ ومن

أراهم تقديم الذبائح ! ؟ ففى مصر وآشور والهند والصين نجد أعمالا دينية متفقة مما يدل على خروجها من مصدر واحد ، بل نراها لا تخلو من الحقائق المقدسة مما يدل على أن مصدرها الله تعالى . ونلاحظ حقيقة أخرى أن شريعة السبت وغيرها كانت معروفة قبل الشريعة الموسوية وكان معمولا بها بالتقليد ولكن لزم الأمر بعد ذلك كتابتها حتى يطلع عليها جمهرة اليهود الذين قد ازداد عددهم وانتشروا فى أراض واسعة وبعدوا عن زمان الوصية وحتى تكون لها جدتها ورهبتها وحتى يتعلمها الأمم أيضاً ان هم رغبوا فى التهود واتباع إله ابراهيم .

التقليد فى المسيحية

وعلى هذا القياس بالذات سارت الكنيسة المسيحية يقودها التقليد فى الفترة بين صعود السيد وكتابة الأناجيل والرسائل وقد حفظ هذا التقليد الرسل الأطهار الذين كانوا مرجعاً لكل الأعمال الدينية المقدسة يسألهم المؤمنون عند الحاجة ،ولكن اذ انتشرت المسيحية اضطر الرسل أن يسجلوا أناجيلهم ورسائلهم حتى تكون بيد المؤمنين ولكنهم احتفظوا بأشياء كثيرة لم يمكن كتابتها لأنها أشياء عملية معرفتها بالممارسة والتلقين الشفاهى وعن ذلك يقول يوحنا الرسول « اذ كان لى كثير لأكتبه اليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأنى أرجو أن أتى اليكم وأتكلم فما لفم لكى يكون فرحنا كاملا » ٢ يو ١٢ .

وهذه قد سلمها الرسل لا ناس راعوا فيهم توفر الأمانة والغيرة وقد أوصى الرسول تلميذه قائلا : وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً (٢ تى ٢ : ٢) وقد اعتبروا التقليد وديعة قال الرسول لتلميذة تيموثاوس « احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم » (١ تى ٦ : ٢٠)

التقليد فى نظر الرسل :

من أجل هذا نظر الرسل الأطهار إلى التقليد نظرة ملؤها الاعتبار فهو الأمانة

المقدسة فى عنقهم وقد اهتموا بنشره فى الكنائس على يد أناس أفاضل جديرين بحمل الأمانة وفى هذا يقول لوقا البشير فى اع ١٥ : ٢٧ فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها . وقال بولس الرسول « وأما الأمور الباقية فعندما أجىء أرتبها » ١كو ١٠ : ٣٤

ولقد حثوا المؤمنين على التمسك به كما ترى فى كتاباتهم فهابولس يوصى المؤمنين قائلا فاثبتوا إذا أيها الأخوة وتمسكوا بالتقاليدالتى تسلمتموها سواءكان بالكلام أم برسالتنا (٢ تس٢ . ١٥) وقال أيضاً وما تعلمتموه ورأيتموه فى فهذا افعلوا وإله السلام يكون معكم (فى ٤ : ٩) وقال بطرس الرسول لتذكروا الأقوال التى قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص (٢ بط٣ :٢) وقد حذرهم الرسول من الذين لم يتمسكوا بالتقليد الكنسى قال : ثم نوصيكم أيها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح بأن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا (٢ تس ٣ : ٦) وقد مدحهم على تمسكهم بهذه التقاليد قائلا فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونى فى كل شىء وتحفظون التقاليد كما سلمتها إليكم ١ كو ١١ : ٧

ترجمة خاطئة

ورب معترض يقول ولكنا نقرأ فى الآيات السابقة كلمة تعليم بدل كلمة تقليد فى النسخة البيروتية . والحق اننا لو راجعنا النسخة الأمريكانية المطبوعة سنة ١٨٦٠م لو رجعنا إلى النص اليونانى لوجدنا كلمة παράδοσις لا كلمة διδασκαλία ولا زالت شواهد الطبعة البيروتية شاهدة بذلك . لماذا عملوا هذا ؟ ! أبحسن نية ؟ ولكن لماذا يترجمون نفس الكلمة « تقليد » عند قوله : وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى . . . . قد أبطلتم وصية الله بسبب « تقليدكم » . مت ١٥ : ٥ — ومن عجب لماذا لم يترجموها تعليم كما فعلوا فى الرسائل واللفظة هى هى . ؟ ؟ ! انهم ترجموها هنا بأكثر دقة إذ حسبوها ضد التقليد والرد على ذلك ان السيد إنما يريد هنا التقليدات البشرية التى أوحتها عليهم عقولهم وعاداتهم وكلها

تنصب حول منفعة شخصية . فهنا الكهنة يريدون إبطال إكرام الوالدين من مال البنين مادام هؤلاء البنون يقدمون للكهنة العطاء .

التقليد فى نظر آباء الكنيسة

قال العلامة أوريجانوس إننى عرفت من التقليد الأناجيل الأربعة وانها هذه وحدها . وقال القديس باسيليوس إذا أهملت التقاليد غير المكتوبة لأصاب الانجيل مضره . وقال القديس أغسطينوس : انى ما كنت أومن بالانجيل لو لم يقنعنى بذلك صوت الكنيسة الجامعة . وقال القديس اكليمنضس السكندرى : إن مؤلفاتى تحتوى على ماسمعت من أناس حفظوا التقاليد الحقيقية كبطرس ويوحنا ويعقوب وبولس أباً عن جد . وقال أوسابيوس المؤرخ فى محاماته عن الانجيل لكا راس ٨ ان رسل المسيح ألفوا أموراً بعضها مكتوب وبعضها غير مكتوب لتحفظ كأنها ناموس غير مكتتب وقال فم الذهب فى تعليقه على ١ كو ١١ : ١ قد يبين من هنا أن الرسل لم يكتبوا كل شىء فى رسائلهم بل انهم علموا بأشياء كثيرة غير مكتوبة فيجب علينا أن نصدق الأمور غير المدونة كلها كما نصدق الأمور المدونة .

وقال القديس كبريانوس من التقليد تعلمنا مزج الخمر بالماء (رسالة ٦٣ فى القداس) وقال القديس باسيليوس من التقليد تعلمنا رسم الصليب على جباهنا وعلى سائر الأمكنة والاتجاه نحو الشرق . ومنه عرفنا كلمات التقديس والاستدعاء التى يتلوها الكاهن وقت الاستحالة والفضل للتقليد أيضا فى حفظه لنا تعاليم مثل مباركة ماء المعمودية وزيت المسحة وتغطيس المعمد ثلاث غطسات (ق ٩١) .

الفصل الثانى

الطقس

يراد بلفظة طقس نظام الخدمة المقدسة وترتيبها أى ما يتلى فيها من صلوات كلامية أو حركات خشوعية أو رمزية ويدخل فى ذلك شكل الكنيسة وأدواتها ورتب الكهنة وملابسهم . . . ولكل كنيسة طقسها الذى يميزها عن غيرها من الكنائس فيقال مثلا طقس الكنيسة القبطية وطقس الكنيسة الرومانية وطقس الكنيسة اليونانية وغيرها . وهذه اللفظة معربة من كلمة TAΞIC اليونانية ومعناها النظام أو الترتيب .

تاريخ الطقوس :

وقد جرت العبادة مع الطقوس منذ البدء فكانت المذابح تبنى بشكل مخصوص وتقدم عليها أنواع مخصوصة من الذبائح وتقرأ كلمات مخصوصة . فهناك الطقس أيام ابراهيم والبطاركة وكان فى غاية البساطة . ثم طقس ملكى صادق وهو من نوع آخر وكانت الذبائح فيه من الخبز والخمر ، ثم طقس هرون وكان أكثر تعقيداً لخيمة الاجتماع بنيت بشكل خاص اذ أمر الرب موسى قائلا فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون (خر ٢٥ : ٨و٩) وقد رتب الله ذاته كل شىء ووصف لموسى وهرون كل ما يتعلق بنظام الخدمة وشدد فى اتباعه حتى ان كل من يخالفه لن ينجو من عقاب . وهذا ما وقع بالفعل بابنى هرون ناداب وابيهو اللذين خالفا الطقس المتبع اذ قدما ناراً غريبة فى المجمرة أى أن هذه النار لم تكن من فوق المذبح أو أنهما قدماها فى غير الميعاد أو أنهما قدماها سوياً فى وقت واحد وليس على التوالى كالمتبع ، أو أنهما قدماها بغير اذن رئيس الكهنة أو على غير استعداد فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب (لا ١٠) ....

وهذا عذرا الذى يحاول مسك التابوت فيقتله الرب لأنه لم يكن مأذوناً لعالمانى أن يلمسه بل الكهنة وحدهم ومن العصوين .

وكان لليهود ترتيب فى صلواتهم وقد أدخل بعض هـذا الترتيب بعض أتقيائهم مثل يشوع الذى رتب حفل اسرائيل فى دورانهم حول أريحا . ومثل داود النبى بدليل ما جاء فى (عز ٣ : ١٠) ولما أسس البانون هيكل الرب أقاموا الكهنة بابواق واللاويين بنى اساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود ملك اسرائيل. وهذه الطقوس كان لها اعتبارها العظيم لدى بنى اسرائيل حسب أمره تعالى وقال فى ذلك سليمان الحكيم « لا تنقل التخم القديمة الذى وضعه آباؤك » (أم ٢٢ : ١٨)

الطقس فى المسيحية :

ولقد تدرج الطقس فى المسيحية الى ما هو أسمى فبدل هيكل سليمان القائم فى أورشليم أصبحت كنيسة المسيح التى تقوم فى كل مكان . وبدل مذبح النحاس الذى تقدم عليه الثيران والعجول والحملان مذبح الكنيسة الذى يقدم عليه ابن الله ذبيحة غير دموية . وبدل تابوت العهد وفيه قسط المن الكرسى الذى توضع فيه الكأس تحمل دم المسيح المن الروحانى وهكذا خرجت الكنيسة المسيحية من هيكل اليهود كما تخرج الفراشة من الشرنقة فسمت بتقاليدها وأفكارها وأصبحت خدمتها لا خدمة الحرف بل خدمة الروح لذلك أضحت أبرع بهاءاً ومجداً .

السيد المسيح والطقس :

وأول من وضع الطقس فى الكنيسة المسيحية هو السيد المسيح بذاته لأنه هو الذى رتب علية صهيون فهو الذى أخذ الخبز على يديه وهو الذى مزج الخمر بالماء . ولقد ظل السيد المسيح يعلم تلاميذه أموراً سرية كثيرة أغلبها كان بعد القيامة وهذه الأمور لم تدون فى الكتاب المقدس بل استوعبها الرسل بغاية الدقة فيشهد سفر الأعمال قائلا الذين اراهم (اى الرسل) نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (١:٣) وقال يوحنا البشر فى انجيله وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين (يو ٢١ : ٢٥) .

وقد ظهر السيد لتلميذى عمواس وأخذ يشرح لهما الكتب (لو ٢٤:١٣) ولم يعرفاه ألا عندما أخذ الخبز وكسر فعرفاه ومعنى هذا أن له طريقة خاصة فى كسر الخبز أى طقس خاص ويذكر فم الذهب ومار أغسطينوس ان رب المجد بمجرد مسكه الخبز أصبح جسده الأقدس فعرفه التلميذان عندئذ ومن هنا نتبين ما لهذا السر المقدس من فائدة جزيلة منها انارة العقل ولقد ذكر أقليموس تليذ الرسل « ان ربنا علم تلاميذه جميع الأسرار المقدسة وسلمهم اياها مشافهة لا كتابة » وقال أوسابيوس القيصرى فى مؤلفه ترجمة قسطنطين الملك الظافر « انه اتصل به عن الأقدمين أن الرب قبل صعوده الى السماء لقن رسله صلاة الأسرار فى مغارة جبل الزيتون » وقد شيدت الملكة هيلانه فوق تلك المغارة كنيسة دعيت « كنيسة الصعود »

الرسل والطقس :

ولقد قام الرسل بوضع النظم فى الكنائس كما رأوها وتسلموها من السيد المسيح ذاته فهذا بولس يبشر المؤمنين قائلا . وأما الأمور الباقية فعندما أجىء أرتبها (١ كو ١١ : ٣٤) وينصح قائلا ليكن كل شىء بلياقة وحسب ترتيب وقد وعد فى مرة أخرى باستيفاء هذه الترتيبات قائلا لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم الى الكمال غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة والايمان بالله ، تعليم المعموديات ووضع الأيادى ، قيامة الأموات والدينونة الابدية. وهـذا سنفعله إن اذن الله (عب ٦ : ١و٢و٣) .

وكان بولس الرسول يوفد أحياناً من يقوم بتنفيذ هذه النظم فقال لتلميذه تيطس من أجل ذلك تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل كنيسة قسوساً كما أوصيتك (تى ١ : ٥) .

الكنيسة القبطية وطقوسها

الفصل الثالث

الرحلة الاولى[1]

شكل الكنيسة الخارجى

جمعتنى مع بعض الاخوان رابطة من الالفة والمحبة وامتزاج الروح ، وحدث أنى اقترحت عليهم أن نجعل اكثر رحلاتنا فى زيارة كنائس مصر القديمة لنتمتع النفس بمرأى آثار الأجداد وما قدموه من تراث خالد لابر الاحفاد ، فما كان من الاخوان الا أن وافقوا جميعاً بنفس واحدة ورغبة أكيدة وطلبوا منى أن أتعهد بأن أشرح لهم كل شىء عن طقس كنيستنا فتعهدت بذلك وضربنا موعداً للقاء .

قمنا مبكرين فى صباح الأحد الأول من الصوم الكبير المقدس وسرنا على الأقدام قاصدين الكنيسة التى تبعد عن بلدتنا بمقدار ثلاث كيلو مترات وقلت لهم : أيها الاخوان أشكر الله تعالى على هذه الروح الطيبة التى دفعتكم جميعاً إلى تنظيم هذه الرحلة المباركة إلى بيعة الله .

---

(١) قصدت أن أكتب المعلومات الطقسية بأسلوب قصصى مصوراً الحقائق فى رواية عن رحلة طويلة فى كنائس مصر القديمة فى عصر القديس الأنبا صرابمون أسقف المنوفية . وقد رغبت فى هذا الأسلوب لأنى أعرف ما للراوية من روعة وجمال وحتى أستطيع بقوة الله أن أدخل طقوس كنيستى المحبوبة إلى أذهان القراء بطريقة محببة إلى نفوسهم ولكن طلب إلى بعض الأصدقاء اذ قرأوا بعض ما كتبت أن أغير الأسلوب القصصى إلى الأسلوب العلمى البحت وعز عليهم أن تضيع هيبة هذه المعلومات القيمة فيظنها البعض قصة من نسج الخيال لذلك غيرت الأسلوب تاركا جزءاً منه فى أول الكتاب

وانى إذ سألنى أحدكم بأن أحدثكم فى شىء من الطقوس المناسبة فأقول لكم : اعلموا اعزائى ان القداس لا يقام الا فى النهار تيمناً بقول رب المجد ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار يو ٩ : ٤ اللهم الا ثلاث مرات فى العام . فى عيد الميلاد والغطاس والقيامة . وقال فى ذلك القديس باسيليوس الكبير . إن الرب بالليل ولد ، وبالليل اعتمد ، وبالليل قام .

ولقد أمر الرسل أن يقام القداس فى الأيام المعتادة بعد صلاة الساعة الثالثة وهى الساعة التى خلق فيها تعالى الانسان الأول وفيها حل الروح القدس على التلاميذ ! أما فى أيام الآحاد فكانوا يبدأون القداس بعد صلاة الساعة السادسة (الظهر) وهى الساعة التى مد فيها آدم يده إلى الثمرة المنهى عنها ونفس الساعة التى صلب فيها السيد المسيح تكفيراً عن هذه الخطية العظمى ! ! .

أما فى أيام الصوم الكبير فيبدأون القداس بعد الساعة التاسعة تلك الساعة التى طرد فيها آدم من الفردوس . وهو نفس الوقت الذى أسلم فيه السيد المسيح روحه لكى بموته يرجع الانسان إلى مكانته الاولى ! ! .

الفصل الرابع

لماذا استبدل السبت بالاحد

وهنا سألنى أحد الرفاق : ولكن لماذا يقام القداس يوم الاحد دون يوم السبت مع أن الله تعالى قد أمر بحفظ يوم السبت قائلا : أذكر يوم السبت لتقدسه . . .

اعلموا أعزائى أن السبت فى حقيقة أمره كان رمزاً إلى يوم الاحد وهذا وفقاً لناموس الارتقاء الذى أوجدته المسيحية تلك التى لم تنقض القديم بل كملته وتممته كما قال رب المجد . ما جئت لانقض بل لاكمل . فبدل الهيكل المكانى كانت الكنيسة فى كل مكان وبدل مذبح تقدم عليه العجول والتيوس كان المذبح الذى تقدم عليه الذبيحة الحية المرضية ذبيحة القداس الالهى وبدل المرحضة التى تغسل من أقذار الجسد صارت المعمودية التى تغسل من أقذار الروح وبدل عيد خماسين يؤتى فيه ببركات الارض وأثمارها أصبح عيد البنديكوستى تأتى فيه خيرات السماء ونعم الروح القدس . وبدل فصح تنحر فيه الخراف وترش دماها كان فصح جديد يقدم فيه جسد ابن الله ودماه الزكية وبدل كاهن يشهد بطهارة الابرص ونقاوة الذى تدنس أصبح كاهن له سلطان الحل والربط ومنح بركات الله ونعمه . وبدل سبت لا يجوز فيه ايقاد النار أو السير على الاقدام الا الى حد ما . أصبح أحد يجب فيه عمل الخير بكل قوى الانسان فما العهد المسيحى إذاً الا عهد النعمة والرقى الروحانى نحو الكمال .

والذى جعل الكنيسة تهتم بتقديس يوم الاحد أن الرب فى ذلك اليوم قام من الأموات ، وبعث الحياة والرجاء للاحياء والأموات ، ونشر روائح الفرح والبهجة ورفع سحائب الغم والأحزان وتهلل التلاميذ فى ذلك اليوم التذكارى المجيد . فكان يوماً خالداً فى تاريخ البشرية وسيظل كذلك إلى أبد الآباد . . . ولكنى

أعجب أيها الرفاق من شيعة مسيحية ما زالت تقدس السبت ! ! ذلك اليوم الذى كان فيه السيد فى القبر ! ! وكأنما يفرحون حيث وجب البكاء ويشتركون فى السرور مع اولئك الأعداء الذين صلبوا الرب .

ولقد تعود التلاميذ منذ قيامة الرب يوم الاحد أن يحتفوا بهذا اليوم العظيم فجعلوه أقدس يوم فى الاسبوع يجتمعون فيه للصلاة فيقص علينا لوقا البشير فى (اع ٢٠ : ٧) « وفى أول الاسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً خاطبهم بولس الرسول وهو مزمع أن يمضى فى الغد . . . » أى أن كسر الخبز أعنى توزيع جسد الرب كان الاحتفال به يوم الاحد لا يوم السبت ، فاتبعت الكنيسة القبطية هذه العادة أى أن القداسات تكون فى أيام الآحاد على مدار السنة . ولكنها لا تقيم القداسات أيام السبوت اللهم الا سبت لعازر وسبت الفرح . ويشهد بهذه الحقيقة سقراط فى كتاب التواريخ الكنسية الكتاب ٥ فصل ١٩ . فيقول بأن كنيسة رومية تتفق مع كنيسة الاسكندرية عن تقليد قديم بأن لا يقدس أيام السبت خلافاً لعادة كنائس أورشليم وأنطاكية والقسطنطينية .

وحتى العطاء والجمع للفقراء فقد تعود المسيحيون أن يفعلوا الخير كل يوم لا سيما يوم الأحد وهنا يقول بولس الرسول « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطيه هكذا افعلوا أنتم أيضاً فى كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ » (١ كو ١٦ : ١و٢).

ومن سفر الرؤيا يظهر ما لهذا اليوم المبارك من اعتبار وأولوية منها يوحنا صاحب الجليان يقول « كنت فى الروح فى يوم الرب . . . » (رؤ ١ : ١٠) ويوم الرب هو يوم الأحد الذى قام فيه الرب وفى هذا اليوم تجرد يوحنا عن الأرضيات وسما كالنسر مخترقاً السموات العليا وتمتع بمرأى ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن . . . وكما كانت القداسات تقام فى يوم الأحد كذلك كانت تقام فى أعياد القديسين وتذكاراتهم مهما كان ذلك اليوم .

وهكذا كنا نسير قاطعين الطريق بأمثال هذه الأحاديث الجميلة واذ بالكنيسة بمبانيها الفخمة تظهر أمامى . . . كانت بيضاء ناصعة ومرتفعة شاهقة تذكرنى بمجد السماء وبصهيون العلوية . فقلت أيها الرفاق ها نحن قادمون إلى بيعة الله فانزعوا من قلوبكم الاحقاد والضغائن واقبلوا إلى بيت الرب بقلوب طاهرة ونفوس مشتاقة . . . ثم أشرت إلى الكنيسة وقلت « ما أحلى مساكنك يارب الجنود تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديارك يارب ... » انى أشعر أيها الاخوان بفرح جزيل وهكذا فرحكم أيضاً عند ما رأينا بيعة المسيح المقدسة وقد ارتفع الصليب فوقها عالياً علامة المجد والنور والسلطان . . . وطأت أرجلنا أعتاب بيت الرب فقلت « الجلوس عند أعتاب بيتك يارب خير من الجلوس فى قصور الملوك » .

الفصل الخامس

فناء الكنيسة الخارجى

دخلنا الكنيسة المباركة من بوابة ضخمة صنعت من الخشب وتغطت بصفائح سميكة من الحديد فسألنى بعضهم عن سبب ذلك فقلت إن الكنيسة كانت تتوالى عليها فى العصور القديمة أنواع من الاضطهادات وكان هم هؤلاء الأعداء تخريب البيع بحرقها بالنيران ولذاجعل الآباء باب الكنيسة هكذا متيناً حتى لا يصيب منه العدو مأرباً .

دخلنا الباب وإذا بنا فى فسحة واسعة تلك الفسحة هى حوش الكنيسة يحده سور مرتفع وتجولنا هنا وهناك فرأينا عن يمين الداخل قصرا صغيرا من طابقين عرفنا أن الطابق الأسفل منه عبارة عن كتاب يتعلم فيه الأولاد القراءة والكتابة وكان ما أعجبنا أن عرفنا أن الأولاد يكتبون على الألواح آيات من الكتاب المقدس ويحفظونها أو يحسنون خطوطهم بها وأنهم يحفظون المزامير عن ظهر القلب ويتلقنون مبادىء العقيدة الأرثوذكسية المحبوبة أما الدور الأعلى فعرفنا أنه أعد للحبر العظيم أعنى به نيافة المطران كلما شرف البلده ليتفقد أحوالها فيتعرف نواحى الضعف ويعمل على رقى الكنيسة باستمرار . كما يعمل على ازالة الخصومات والمنازعات بين العائلات فما يترك القرية إلا وهى على أحسن حال . وعرفنا أنه قد أعدت غرفة واسعة الأرجاء بهذا القصر وخصصت لتكون مضيفة يجتمع فيها المسيحيون فى المناسبات كأيام المآتم والأعياد ورأينا غرفة منعزلة وملحقة بسور الكنيسة عرفنا أنها فرن القربان أو كما تسمى فى عرف الكنيسة بيت لحم . أما القرابنى فهو شيخ طيب وقور عرفنا أنه يرتل الحان الكنيسة ويصلى التسبحة والمزامير أثناء صناعة القربان . ثم سرنا الى الناحية البحرية من الكنيسة وإذا بنا فى حديقة لطيفة أهم ما زرع فيها النخيل والكرم والزيتون .

كأنى بهذه الأشجار الطيبة تعطينا درساً بليغاً نحو نماء المؤمنين وثباتهم فى كرم

الرب وكأنها تقول مع داود النبي « مغروسين فى بيت الرب فى ديار إلهنا يزهرون (مز ٩٢) وكأنما النخيل ينشد قائلا « الصديق كالنخلة يزهو . . . » وكأنما الكرم تردد قول رب المجد « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » أما الزيتونة شجرة السلام فنريدنا أن نكون أبناء السلام وأن نقول مع داود النبي « أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله توكلت على رحمة الله الى الدهر والأبد » (مز ٥٢) . . وتروى هذه الحديقة من بئر ارتوازية قديمة . . . ولفت نظرنا بناء من الحجر والرخام عرفنا أنه مقبرة الآباء الكهنة فوقفنا هنيهة لنحيي تلك الأرواح الخالدة التى عاشت لخدمة الله وقرأت عبارات جميلة كتبت على أحد المقابر أذكر منها هذا القول .

يريد المرء فى الدنيا خلوداً ... خلود المرء فى الدنيا محال
نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا ... كذا الدنيا نزول وارتحال

وكأنما كان هذا القول تعليما خالداً من آباء جاهدوا وانتصروا الى أبناء يجاهدون لينالوا مثل ماناله هؤلاء الآباء .

الفصل السادس

المنارة والجرس

نظر أحد الاخوان الى المنارة المرتفعة والتى تكون جزءاً من سور الكنيسة ، وكانت ذات أبراج ثلاثة يبلغ ارتفاعها جميعاً ٤٥ متراً وفى أحد الأبراج جرس كبير عرفت أن وزنه عشرين قنطاراً وأنه استحضر من موسكو خصيصا لهذه البيعة، ثم سألنى أحدهم وما تعليمك لنا بخصوص هذه المنارة وهذا الجرس فقلت:

المنارة بالنسبة للكنيسة كالسارية بالنسبة للسفية ، وكما تكون للسفينة ساريتان هكذا يكون للكنيسة أحياناً منارتان. وتكون المنارة أما متصلة بسور الكنيسة أو ضمن مبانى الكنيسة نفسها أو فوق أحد هيا كلها وكثيراً مايستحسن أن تكون المنارة منفصلة عن مبانى الكنيسة حتى لا تؤثر فيها من جراء دقات الأجراس .

وتسمى الأجراس فى اليونانية σήμανδρα وفى القبطية ⲱⲕⲉⲗⲕⲓⲗ ولقد أخذت عن نوح اذ كان يضرب النواقيس ثلاث مرات فى اليوم لأجل اجتماع الصناع ، ولعمل السفينة ، وللأكل . .

وكما أن الأبواق تضرب عند نشوب الحروب ايذاناً بالخطر فيمتشق كل جندى سلاحه ويستعد للجهاد . . . هكذا تدق أجراس الكنيسة لتدعو المؤمنين للصلاة والجهاد ضد عدونا أبليس .

وتدق الأجراس فى ساعة معينة من الصلاة حتى يستطيع أولئك الذين منعتهم الضرورة القصوى عن الحضور الى الكنيسة ، الصلاة فى أماكنهم، فى نفس الوقت. وفى المساء يدق الجرس عند بدء الصلاة وفى الصباح يدق عند بدء صلاة التسبحة وفى وقت تقديم الحمل .

ومن الكنائس التى اشتهرت أجراسها كنيسة أجيا صوفيا اذ يذكر التاريخ أنه

كان معلقاً بها اثنى عشر ناقوساً ولعلها تشير إلى تلاميذ ربنا الاثنى عشر الذين فى كل الأرض خرج منطقهم والى أقطار المسكونة بلغت اقوالهم

وكانت الأجراس بالأديرة القبطية قديما عبارة عن قضيب من الحديد يقرع بقطعة من الخشب كالقدوم لينبه المصلين لحضور البيعة ولا زال مايشبه هذه الاجراس موجوداً فى كنيسة مار يعقوب بالقدس

ويجب أن تعلموا أعزائى أن الكنيسة المصرية هى أقدم كنائس العالم فى استخدام الاجراس وحتى الكنيسة اليونانية نفسها لم تستعمل الأجراس الا فى سنة ٩٠٠م ومما يثبت أن الأجراس كانت شائعة منذ القديم فى كنائس الاقباط ما يذكره التاريخ أن أبولينار يوس رسول جستنيان ضرب أجراس الكنائس فى مدينة الاسكندرية فى يوم الاحد ليدعو الناس لسماع رسالة الملك جستنيان ، وكان هذا فى عهد البابا تؤدوسيوس الاسكندرى . كما يذكر التاريخ أيضاً أنه عندما تهدم كثير من كنائس الأقباط ، كانوا يحملون بعض الأجراس الثمينة إلى أديرة وادى النطرون لحمايتها من الدمار ومن هذه يذكر جرس صغير عليه أشكال الانجيليين الأربعة وعليه بعض الكتابات وفى سنة ٨٥٠م صدر أمر بمنع أجراس القاهرة ، وفى عهد الأنبا زخاريا البطريرك الـ ٦٤ فى سنة ١٠٠٠م أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله أمراً بمنع ضرب النواقيس فى أرض مصر ومنع بناء المنارات وفى ذلك الحين استعمل الأقباط لوحاً من الحديد يضرب بمطرقة ولكن حتى هذا قد منعوا من استعماله فى سنة ١٣٥٢م

ولم يسمح ببناء المنارات ودق الأجراس إلا فى عهد عاهل مصر العظيم محمد على باشا

غسل الايدى

ورأينا فى فناء الكنيسة حوض ماء يملأونه من البئر وفى هذا الحوض يغسل الداخلون أيديهم أو وجوههم ويشير الى ذلك القديس فم الذهب فى تفسيره ف ٥٢ من انجيل متى .

الفصل السابع

ابواب الكنيسة

يعتبر الباب الغربى فى الكنيسة الباب الرئيسى حتى يكون اتجاه الداخل إلى الشرق ناحية الهيكل المقدس .

ويجب أن يكون للكنيسة ثلاثة أبواب كما أمر الرسل فى قولهم : « الكنيسة هكذا فليكن لها ثلاثة أبواب مثالا للثالوث المقدس » (دسقوليه باب ٣٥) إذ لا يمكن لأحد أن يدخل باب الكنيسة إلا وهو معتمد باسم الآب والابن والروح القدس.

والعادة فى القديم أن يكتبوا أسماء اسباط اسرائيل على الأبواب وذلك لأن الخلاص من اليهود كما قال ربنا للمرأة السامرية . والمسيح منهم حسب الجسد . كما جرت العادة أن يرسموا صورة اثنى عشر ملاكا على الأبواب اشارة إلى مدبرى البيعة أى رؤسائها الذين يسوسونها ويدبرون أمورها وهذا كله إشارة ومثالا لما رآه يوحنا فى أورشليم السماوية ووصفه بقوله « وكان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنى عشر بابا وعلى الأبواب اثنى عشر ملاكا وأسماء مكتوبة هى أسماء اسباط اسرائيل الاثنى عشر » رؤ ٢١ : ١٢

وأبواب الكنيسة تشير إلى أبواب ملكوت الله . وهى الطريق والحق والحياة وهى الأبواب التى أحبها الله . قال داود النبى « الرب يحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب » (مز ٨٧ : ٢)

وأبواب البيعة تشير أيضاً إلى أبواب مراحم الله ، لذلك يجب أن تبقى مفتوحة على الدوام وفى ذلك قال أشعياء النبى « تفتح أبوابك يا أورشليم كل حين ليلا ونهاراً لا تغلق . ليؤتى اليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم» (اش ٦٠ : ١١) وفى فتحها علامة على قبول الله للراجعين إليه وعلامة على أن الخلاص للجميع وأنه أعد لكل شعب وأمة ولسان فلا فرق بين بربرى أو سكيثى ولا بين عبد أو حر .

الفصل الثامن

كلمة كنيسة

كلمة كنيسة عبرانية الأصل مأخوذة من كلمة كنيس ومعناها مجمع أو محفل ولو أن البعض يقول إنها مأخوذة من الكلمة اليونانية ἐκκλησία ومعناها مكان الدعوة وهى مشتقة من كلمة اكالو أى أدعو وكان اليونان يطلقون هذه الكلمة على محافلهم المقدسة أو ندواتهم وأماكن اجتماعاتهم للقضاء أو للتشاور كما ورد فى (أع ١٩ : ٤١) وأصبح مدلول هذه الكلمة من بعد، على الكنيسة المسيحية بمعانيها المختلفة .

أسماء الكنيسة

وللكنيسة جملة أسماء فتسمى بيت الله . لأنه ان جاز ليعقوب أن يسمى المكان الذى ظهر له الله فيه مرة واحدة بيت إيل أى بيت الله . فالأولى يكون المكان الذى يظهر فيه مجده تعالى باستمرار، وتسمى بيت الصلاة ، وفى ذلك قال رب المجد «بيتى بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم »

وتسمى أيضاً بيت الشهداء إذ تقام فيها احتفالات للشهداء إذ كانت العادة أن تبنى الكنائس فوق عظامهم أو فى أماكن استشهادهم .

وتسمى بيت الجماعة إذ يجتمع فيها الله مع الناس. قال صاحب الرؤيا « أنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها .وسمعت صوتاً عظيماً من العرش قائلا هوذا مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١ : ٢)

كما أنها تسمى الهيكل . وتدعى مدينة الله . وفندق الحياة . وبرج الخلاص . والقرية المثبتة . وميناء النجاة . ومنارة القدس وغير ذلك كثير .

وتسمى الكنيسة فى اللغة العربية بيعة . ولعل هذه الكلمة من المبايعة والانتخاب لذوى الرتب الكهنوتية حيث يتم ذلك فيها .

ولعل كلمة بيعة من البيع لأن السيد قد ابتاعنا لنفسه « قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس »

الفصل التاسع

معانى لفظ كنيسة

كلمة كنيسة لها ثلاثة معان :

المعنى الأول:

تطلق كلمة كنيسة على المكان أى محل اجتماع المؤمنين ويظهر هذا المعنى جليا فى قول القديس لوقا عن الرسولين بولس وبرنابا « فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً » (أع ١١ : ٢٦) وفى قول بولس الرسول لأهل كورنثوس « لأنى أولا حين تجتمعون فى الكنيسة أسمع أن بينكم انشقاقات وأصدق بعض التصديق » ١ كو ١١ : ١٨ وقال فى موضع آخر « لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً » ١ كو ١٤ : ٣٤

المعنى الثانى :

الاكليروس ، ويفهم هذا المعنى من قول رب المجد « وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار »

ويظهر هذا المعنى من كتابة صاحب الرؤيا إذ يقول « من يوحنا إلى السبع الكنائس التى فى آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن والذى كان والذى يأتى ومن السبعة الأرواح التى أمام عرشه »

المعنى الثالث :

وقد يراد بلفظة كنيسة الشعب المسيحى فى العالم أجمع ويظهر هذا المعنى من قول بولس الرسول « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه »

ومن قول لوقا البشير « فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » ومن قول القديس بولس « بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله . . إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس المقدسين . . » بل ومن قول رب المجد ذاته لبطرس . « وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (أى صخرة الايمان) ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها »

الفصل العاشر

الكنيسة و بناؤها

إن تلاميذ ربنا كانوا يجتمعون معاً للصلاة وإقامة القداس ويذكر سفر الأعمال أنهم كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات (أع ٢:٤٢) فلا بد لهم إذاً من مكان يضمهم لهذه الشعائر المقدسة .

ولقد كانت هذه الأماكن ارتجالية فى أول الأمر وكان أحب مكان لديهم هو علية صهيون المباركة فى بيت مرقس الرســـول وأحياناً كانوا يجتمعون فى بيت من البيوت فيذكر القديس لوقا أنه وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب (أع ٢ : ٤٦)

الكنائس فى البيوت:

إذا كانت الكنائس فى البيوت ويذكر هذه الحقيقة بولس الرسول فيقول سلموا على بريسكلا واكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع وعلى الكنيسة التى فى بيتهـــما رو ١٦ : ٥ ، ١ كو ١٦ : ١٩

وهكذا كان الرسل يتخذون غرفة علوية فى المنازل على مثال العلية الصهيونية كنيسة ليقيموا فيها الصلاة .

ونظراً لأن الكنيسة الأولى كانت مضطهدة فقد تخفى المؤمنون فى اتخاذ أماكن العبادة حتى لايعرضون القدس للكلاب ولا يطرحون درهم أمام الخنازير لذلك جعلوا من المغارات فى بعض الأحيان كنائس وكثيراً ماكانت المقابر متصلة بسراديب سرية فى جوف الأرض تنتهى إلى أماكن لإقامة سر الشكر والصلاة على الراقدين.

وكثيراً ماكان المؤمنون ، لأسباب الاضطهاد ، يقيمون القداسات فى المغارات أو الصحراوات أو فى الحقول أو فى شقوق الجبال .

ولكن لما انتشرت المسيحية وأصبح لهاشأن يذكر أقيمت الكنائس وأعدت للعبادة إعداداً كافياً ، وإذا بحثنا فى الآثار القديمة نجد أن أقدم الكنائس المسيحية فى العالم

هى الكنيسة التى أسسها مرقس الرسول فى مدينة الاسكندرية . ويقول بعض الباحثين إن أقدم كنيسة عرفت كانت بمدينة الرها وذكر أن تخريبها حدث سنة ٢٠١ م بسبب السيول الجارفة وفيضان نهر ويصان .

ومن الكنائس القديمة الشهيرة كنيسة مار مينا بمريوط وهى على بعد ٩ أميال من الاسكندرية وقد اكتشفها كافومان (Kaufmann) سنة ١٩٠٧ ، وهى أقدم كنيسة عرف تاريخ إنشائها بالضبط بدأ عمارتها الامبراطور أركاديوس سنة ٣٢٥م وأتمها الأنبا تيموثاؤس البطريرك الـ ٢٦ ودفن بها القديس مينا وكان يؤم ضريحه الزائرون من كافة الأقطار وكانوا يأتون بأوان خزفية عليها صورة القديس ويداه مبسوطتان للصلاة فيملأونها بالمياه المقدسة التى كانوا يستقون منها للتبرك وللشفاء من الأمراض ، وهذه الكنيسة قد جددها الأنبا تيودوروس الـ ٤٥ سنة ٧٣٥ م

أول كنيسة فى مصر

أما أول كنيسة أنشئت فى مصر — بعد كنيسة القديس مرقس — فقد ابتناها البابا ثاؤنا البطريرك الـ ١٦ الذى ذكر عنـــه أنه ابتنى كنيسة حسنة فى مدينة الاسكندرية سنة ٢٢٠ م باسم السيدة العذراء .

ويجب أن نعرف أن الكنائس الفخمة لم تشيد إلا فى أواخر القرن الثالث المسيحى فى حكم الملك قسطنطين العظيم ابن الملكة هيلانة الذى حول كثيراً من البرابى والهياكل الوثنية القديمة إلى كنائس مثل كنيسة دير الأنبا شنودة المعروفة بالدير الأبيض والدير الأحمر.

ومن الكنائس التى اشتهر أمرها قديما كنيسة الرسولية التى بناها مار بولا ووسعته بمعرفة قسطاس بن قسطنطين الكبير وسميت الكنيسة الكبرى وكانت قبتها مصفحة بالذهب ولذلك لقبت بالذهبية وفيها كان فم الذهب يلقى مواعظه وخطاباته .

وهكذا بدأت الكنائس تنتشر فى كل مكان وأصبحت الكنيسة ضرورة من ضروريات المؤمنين أينما ذهبوا حتى أنه ليخبرنا التاريخ بأن الملك قسطنطين الظافر عمل كنيسة من الكتان حتى يتمكن من نقلها من مكان إلى مكان فى أثناء حروبه وكانت تقام فيها الصلوات التى يحضرها الملك مع حاشيته

الفصل الحادى عشر

الفن فى الكنائس

ويجب أن نعرف أنه ابتداء من القرن الرابع صار الأقباط يبنون كنائسهم على الطراز البازيليكى أو الطراز البيزنطى والطراز الأول هو ما كان يغطى هياكل الكنيسة وصحنها جملون من الخشب أو الطوب القرميد ومثلها مثل كنيسة المعلقة .

أما الطراز الثانى فهو ما تغطى هيا كلها وصحنها بالقباب مثل كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة .

ولقد أخذ الأقباط الفن البازيليكى عن المبانى الرومانية بمدينة الاسكندرية كما أخذوه عن الكنائس التى شادها الأمبراطور قسطنطين فى مصر وسوريا وفلسطين .

أما الفن البيزنطى فأصله أيضاً مدينة الاسكندرية وقد نقله عنها البيزنطيون .

وتتميز الكنائس التى تبنى على النظام البيزنطى أنها تكون على شكل صليب ومن أهم الكنائس التى بنيت على هذا الطراز هى كنيسة أجيا صوفيا . ويظهر شكل الصليب فى كنيسة الدير الأبيض والدير الأحمر فى سوهاج إذ أن هيا كلها ذات قباب .

وتجد أن هيكل كنيسة الدير الأبيض وهو بشكل صليب الضلع الشرقى والقبلى والبحرى جدرانه على شكل نصف دائرة تعلوها أنصاف قباب والضلع الغربى يتصل بصحن الكنيسة وكان الجزء الأوسط من الهيكل يغطيه سقف على شكل جمالون ولكنه استبدل فى القرن الثانى عشر بقبوة

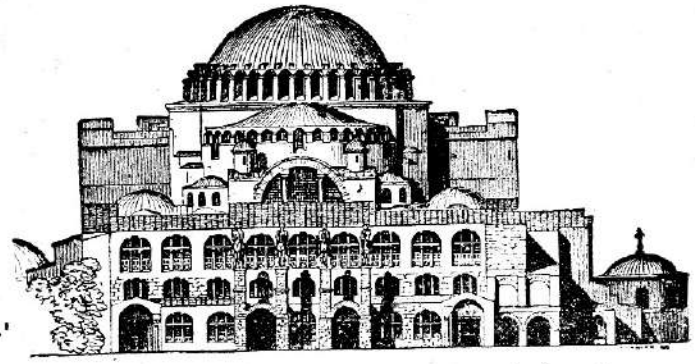

كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية وهى مثل رائع للفن البيزنطى

الفصل الثانى عشر

شكل الكنيسة

يجب أن نعلم أن شكل الكنيسة عموما هو من وضع الرسل الأطهار بمشورة الروح القدس ، وكما أن خيمة الاجتماع لم تكن من تصميم كائن من كان من البشر مهما كانت حكمته ، فموسى الذى تهذب بكل حكمة المصريين لم يضع تصميمها ويشهد بهذه الحقيقة بولس الرسول فى عب ٨ : ٥ ان الله قال لموسى « انظر أن تصنع كل شىء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل » كذلك على هذا القياس تكون كنيسة المسيح التى هى خدمة البقاء على مثال السماويات قال الراثى « وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها وسمعت صوتاً عظيما من العرش قائلا هوذا مسكن الله مع الناس » (رؤ ٢١ : ٢)

فللكنيسة إذاً شكل خاص فى بنائها لذلك يراعى التدقيق فى اقامتها بكل نظام وترتيب والأساقفة هم المسئولون عن بناء الكنائس وتنظيمها قال القديس باسيليوس إنه لايجوز أن تبنى كنيسة إلا باذن الأسقف وإذا تجاسر أحد وفعل غير هذا فلا يجوز أن يقدم فيها إلى الأبد . فان تجرأ كاهن على تقريب القربان فيها يقطع من جسم البيعة (بس ٩٤)

أما شكل الكنيسة عموما فتكون مستطيلة إلى الشرق رمزاً إلى السيد المسيح المشرق من العلاء لو ١ : ٧٨ - وهذا يوافق أمر الرسل الذى ورد فى الدسقولية الباب العاشر وهذا نصه « ليكن البيت الذى هو الكنيسة مستقبلا إلى الشرق فى طوله وتكون أروقته جانبية إلى النواحى الشرقية وهكذا يتشبه بالمركب » وتكون الكنيسة بهذا الوضع على شكل سفينة تذكرنا بقارب النجاة الذى لنوح .

ويفسر لنا آباء الكنيسة أن هذا يذكرنا دائماً أن المسيحيين ليس لهم وطن أرضى وانهم مسافرون إلى الميناء السماوى .

كما أن للكنيسة شكل آخر فتكون على شكل صليب صليب الخلاص وهذا شائع فى الكنائس ذات الفن البيزنطى كما سبقت الاشارة .

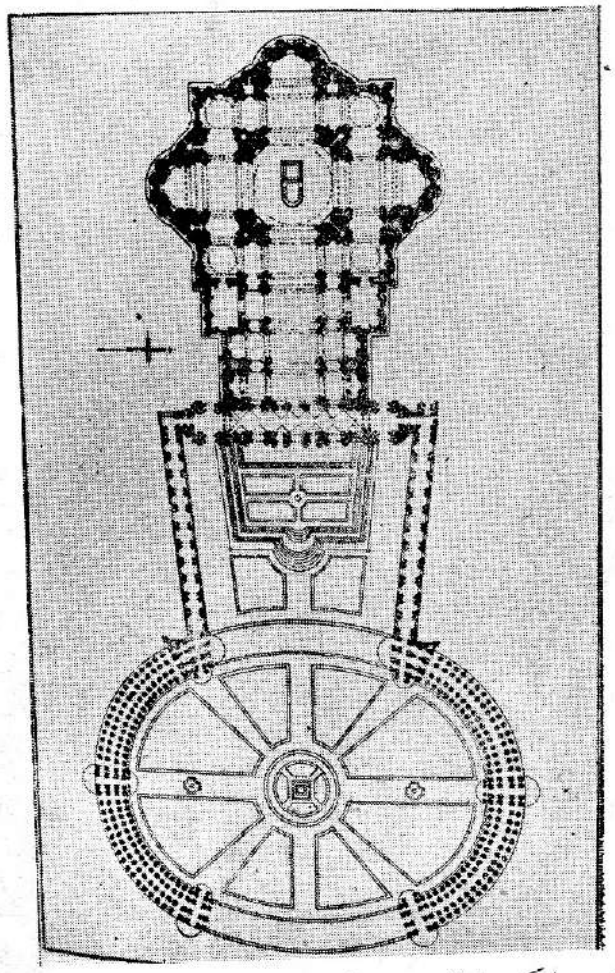

رسم هندسى لكنيسة القديس بطرس فى روما وتراها على شكل صليب

وإذا نظرنا نظرة خاطفة إلى الكنيسة وجدناها تذكرنا بدار الخلود فأشبه قدس الأقداس بالسماء ! ! والدار بالجنة التى كان فيها الإنسان وهى المكان المتوسط بين الأرض والسماء !! وان السور الذى يحد الكنيسة هو حاجز بين سكان الأرض وسكان السماء !!

اقسام الكنيسة

أنتقل بك أيها القارىء العزيز إلى أقسام الكنيسة وهى أربعة :—

القسم الأول : هو قدس الأقداس أو الهيكل وفى وسطه المذبح .

القسم الثانى : خاص بالشمامسة والمرتلين.

القسم الثالث : خاص بالشعب .

القسم الرابع : وفيه المرشحون للقبول أى الموعوظون.

ويفصل كل قسم عن الآخر حاجز خشبي ويسمى كل حاجز خورس (١) وتجد هذه الأقسام واضحة فى كنيسة ابى سيفين بمصر القديمة بالفسطاط ولا زالت هذه الأقسام موجودة حتى الآن .

الفصل الثالث عشر

الهيكل

ويكون الهيكل مرتفعاً نوعاً ما عن صحن الكنيسة ذلك لأنه أعظم مكان فى الكنيسة وحتى تستطيع الأبصار أن تشخص إليه ويسمى الهيكل قدس الأقداس والقبة العظيمة . وقبة الحق . وبيت الله . وهيكل قدسه . ومستقر الراحة . والسماء الثالثة . والقبة المحتجبة التى لم تصنعها الأيدى . قال اقليموس تلميذ بطرس الرسول فى قداسه « اللهم يامن لايرى ولا يدرك ولا يوصف ولا يحد . أيها الساكن فى قدس الأقداس فى القبة المحتجبة التى لم تصنعها الأيدى فوق جميع السموات وسما السموات»

أما باب الهيكل فيكتبون عليه أحياناً « افتحوا لى أبواب البر لكى أدخل فيها وأشكر اسم الرب وأقول هـذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه . مز ١١٧ : ١٩ و ٢٠

(١) خورس وجمعها خوارس كلمة يونانية معناها حاجز وهو الذى يفصل بين صفوف المصلين .

وأسفل الباب يكتبون ارتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد . م
هو ملك المجد . رب القوات هذا هو ملك المجد مز ٢٣ : ٩ و ١٠ أوالسلام لهيك
الله الاب . وأيضاً سبحوا الرب ياجميع الأمم ومجدوه ياجميع الشعوب فان رحم
الرب سابغة علينا ومجد الرب يدوم إلى الأبد هاليلويا» مز ١١٦ أو سبحى الر
ياأورشليم ومجدى الهك ياصهيون فانه شدد عمدأبوابك وبارك بنيك فيك مز١٤٧ :
أو من ذا الذى يصعد إلى هيكل الرب إلا الطاهر اليدين النقى القلب مز ٢٣ : ٣ و

أبواب الهيكل :

ونلاحظ أن للهيكل ثلاثة أبواب الأوسط منها يسمى الباب الملكى لأن م
يتقدم الحمل السماوى ليعطى للناس جسده ودمه الأقدسين طعاما للحياة.

وإن فتح وغلق هـــذا الباب المقدس له معان كثيرة ففتحه يشير إلى فتح باب
الفردوس ، ويشير إلى أن الله أبان طريق الأطهار الذى كان محجوبا حسب الناموس
(عب ٩) أما غلقه فيشير إلى عظمة وسمو سر التناول المقدس وسر الكهنوت
العظيم .

الستور :

وفوق أبواب الهيكل أستار تفتح وتغلق حسب المناسبات وقد ذكر أوسابيوس
أن الملك قسطنطين الكبير عمل ستراً كبيراً يغلق أبواب الحجاب فى الكنيسه التى بناها
فى القسطنطينية .

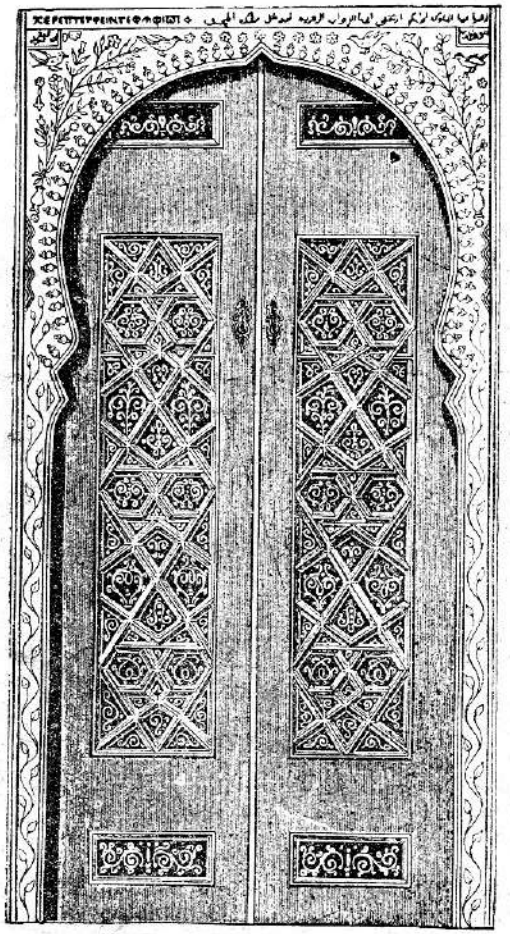

باب الهيكل بكنيسة أبى سيفين وعليه نقوش بارزة ، نقلا عن كتاب الدكتور بتلر .

الفصل الرابع عشر

الحجاب :

ويفصل مابين الهيكل وباقى الكنيسة حجاب من خشب ثمين مطعم بالأبنوس والعاج وقد تحلى كله بصلبان جميلة وصنع صناعة غاية ما تكون فى الدقة .

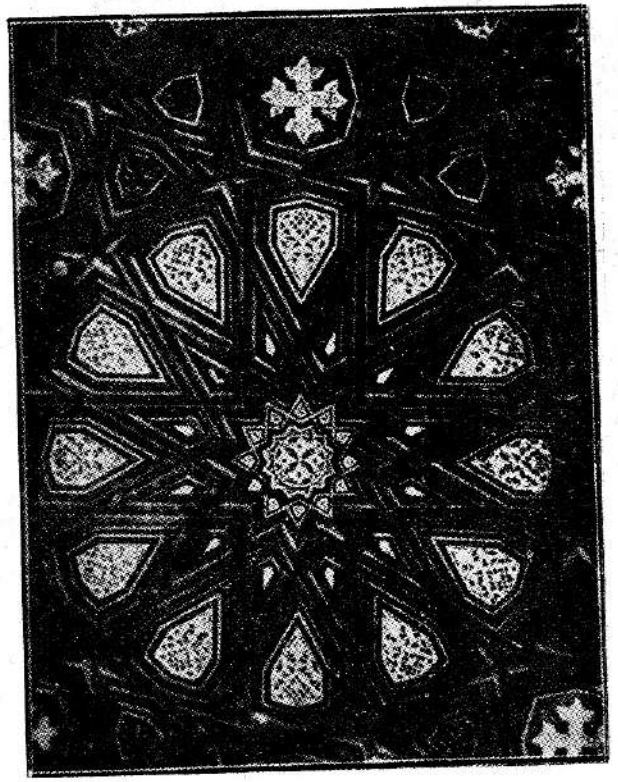

وحدة من حجاب كنيسة المعلقة وهو من القرن الثالث عشر

وتتألف الرسوم التى على الحجاب فى الغالب من وحدتين هما الصليب والسمكة أما الصليب فهو علامة الخلاص . أما السمكة فهى علامة الحياة والتكاثر وذلك لأن مشهور عن الأسماك أنها كثيرة الاخصاب وأن الله تعالى قد حباها بركة حتى تحافظ

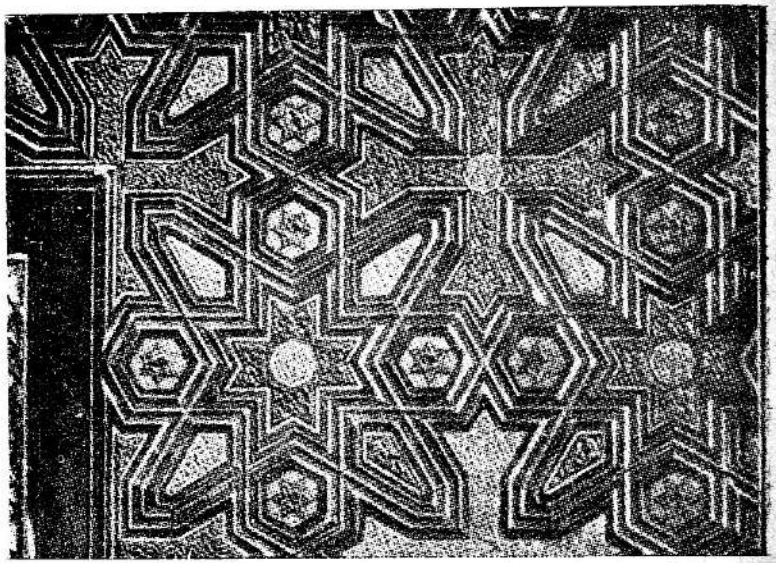

قطعة من حجاب كنيسة أبى سيفين وهو مطعم بالعاج والأبنوس

على جنسها . لذلك نسمع أن بيضات بعض الأسماك كالبنى تكون سامة حتى إذا ابتلعتها الأسماك الأخرى أو الحيوانات البحرية قذفتهـــا معدتها ثانية إلى المياه وتبقى حتى تفقس أسماكاً جديدة !

لذلك شبه الآباء المسيحية بالأسماك سريعة الانتشار وأنها لا يمكن أن تفنى وأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها .

ولم أجد أحجبة قد رسم عليهـا خلاف هاتين الوحدتين وهما الصليب والسمكة وأحياناً زهرة اللوتس — ولم يشذ عن هذا النظام إلا حجاب كنيسة السيدة بربارة بمصر القديمة إذ رسمت عليه نقوش تمثل الصيد والقنص وطيور مثل الببغاء والصقر والطاؤوس وحيوانات مثل الغزال وكلاب الصيد وبعض الحيوانات الوهمية .

ويرجع هذا الحجاب إلى القرن العاشر . ولست أظن أن مثل حجاب القديسة بربارة هذا يمكن أن يتخذ قاعدة فى صناعة أحجبة الكنائس فهو على ما أعرف

الوحيد من نوعه ولا ندرى الظروف التى دعت إلى صناعة مثل هذا الحجاب على أنه إذا جاز لنا ان نرسم حيوانات على الحجاب فليكن الحمل رمز الوداعة أو الحية رمز الحكمة أو الحيوانات الأربعة التى رآها الرائى حول العرش وكان الحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثانى شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر ولكل واحد من هذه الحيوانات ستة أجنحة (رؤ ٤) - أو طيور فلتكن الحمامة رمز الطهارة والبساطة . أو نباتاً ، فلتكن سنابل القمح وأوراق الكرمة وعناقيدها إشارة إلى سر الشكر الذى تتخذ مادته من دقيق القمح وخمر العنب .

تسمية الحجاب :

والواقع أن كلمة حجاب هى تسمية غير دقيقة وليس فى الكنيسة شىء اسمه حجاب على ما كان يفهم فى هيكل سليمان ولذلك كانت التسمية اليونانية للحجاب Εἰκονοστάσι (ايقونستاسيس) ومعناها مكان تعليق الأيقونات هى الأصح .

وجرت عادة تعليق الصور فوق الحجاب (١) بعد ظهور بدعة محاربة الأيقونات المقدسة وبدأت هذه العادة أولا فى الكنيسة اليونانية ومنها انتقلت إلى غيرها من الكنائس .

أما الغرض من إقامة الحجاب فأحدها مادى وسبق ذكره أعنى به تعليق الصور والثانى روحانى ، فهو دليل على أن الله لايمكن إدراكه ولا حده قال داود النبى الغمام والضباب حوله مز ٩٧ : ٢

وقال الرسول « ساكناً فى نور لايدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه اتى ٦ : ١٦

(١) الواقع أنه كان حاجزاً من الزرابين وليس حجابا وتطور شكله لتعليق الأيقونات . لذلك لاتجد أحجبة كنائس أقدم من القرن الخامس .

والغرض من إقامة الحجاب أيضاً أظهار أن أسرار ملكوت السموات لا يمكن الوصول إلى عمقها وأن الثالوث الأقدس لا يمكن إدراكه .

وقديماً أمر الله موسى النبى بعمل حجابين الأول ما بين الدار والقدس والثانى مابين القدس وقدس الأقداس وكذلك الحال فى الكنيسة حتى تكون الخدمة محفوفة بالمهابة .

ولقد انشق حجاب الهيكل قديماً دليلا على أن الطقوس الموسوية قد أبطلت كما أننا نعلم بأن رئيس الأحبار قد مزق ثيابه قبل ذلك دليل بطلان الكهنوت .

ولا يجوز لجميع الناس أن يدخلوا من باب الهيكل إلى داخله ويكفيهم أن يرفعوا عيونهم إلى المشرق ليروا المذبح وهكذا يرون مجد الله ولو أنه كمن ينظر فى مرآة ٢ كو ٣ : ١١

وعند باب الهيكل أقف بك أيها القارىء حتى إذا فتحنا هذا الباب الملكى نتأمل ونرى ، وسنرى عجباً وجمالا . قداسة ومهابة وأسرار عميقة .

الفصل الخامس عشر

المذبح

تعال معى ياصاح وقف بالباب الملكى المهيب وانظر وتعجب . هنا قدس الاقداس ، هنا يجتمع الله مع الناس ، هنا يقف الملائكة مغطين وجوههم من بهاء عظمة مجده ، هنا يرفعون أصواتهم بالتقديس قائلين : قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت مجده ملء كل الأرض .

ونلاحظ ان مكان الهيكل صغير بالنسبة الى سعة الكنيسة وهو يتسع بحرى قبلى ويستضيق غربى شرقى . وفى الجهة الشرقية منه يكون الحائط اجوفاً منحنياً كما أمر الآباء وما أشبه ذلك بحضن الاب! ويكتبون فى هذه الشرقية «مساكنك محبوبة يارب اله القوات تشتاق وتذوب نفسى للدخول الى ديار الرب . قلبى وجسمى قد ابتهجا بالاله الحى لأن العصفور وجد له بيتا (مز ٨٣ : ١ - ٣)

ويكون من فوق الحائط طاقة ليدخل نور الشرق منها لأن الله هو أبو الأنوار

درجات الكهنوت :

وفى الجهة الشرقية من الهيكل تعمل سبع درجات على عدد طغمات الكهنوت السبعة فى أعلاها درجة أو كرسى للاسقف تسمى «سينثرونس» أى (Sitting throne) ومعناه عرش لجلوس الاسقف.

وحسب التقليد فى الكنيسة القبطية يجلس عليه البطريرك بعد الرسامة كما يجلس عليه الاسقف فى الكنيسة فى مقر كرسيه . ولقد جاء فى كتاب الرسامات المخطوط بالمتحف القبطى فى رسامة البطريرك مانصه « . . . ثم ينزل كبير الاساقفة من على السينثرونس والثانى منه (أى الاسقف الذى يليه حسب الترتيب الادبى بين الاساقفة اذ كان المقدم هو اسقف القدس ثم اسقف دمياط) ويجلسون البطريرك على السينثرونس وهم ماسكون بيديه . . . »

وجاء أيضاً فى تجليسة الاسقف الجديد اذا وصل الى مقر كرسيه « . . . وينزل كبير الاساقفة من على السينثرونس ويجلس المدعو جديداً ويمسكون يديه الاثنين ثم يجلس كبير الأساقفة والذين معه بعده ويقول كبير الاساقفة بهدو . . . نجلس الذى سبقت رسامته بالنعمة الالهية الانبا فلان الاسقف . . . . . ثم يعطى له انجيل يوحنا ـ بعد قراءة البولس طبعاً ـ ويقرأ منه الفصل الثالث والعشرين ـ الاصحاح العاشر ـ من على السينثرونس . . . »

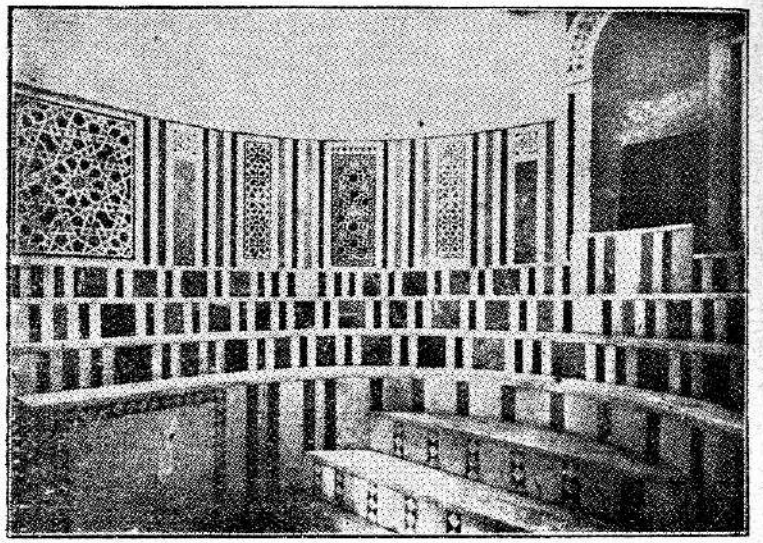

درج نصف دائرى بالفسيفساء بكنيسة السيدة بربارة

ومعنى هذا أن درجات الكهنوت هذه هى طقس قبطى قديم وتوافق أمر الآباء الرسل اذ قالوا «وليكن فى شرقى المذبح سينثرونس مرتفع وله درجات بمقدار ارتفاعه» (دسقوليه باب ٣٥)

ويذكر دليل المتحف القبطى انه بالجدار الشرقى من الكنيسة يوجد درج نصف دائرى من الرخام كان يجلس عليه الكهنة حسب درجاتهم وبأعلاه كرسى البطريرك أو الاسقف ويزين الجدار المحيط بهذا الدرج بالفسيفساء » (١)

(١) الجزء الأول ص ١٢

وجاء فى نفس الكتاب أن الكهنة كانوا يجلسون على هذا الدرج حسب درجاتهم أثناء قراءة الرسائل (٢)

وهذه الدرجات يذكرها القديس اغسطينوس فى كتاب مدينة الله ولقد ذكر اوسابيوس المؤرخ عن يعقوب الرسول رئيس اساقفة أورشليم انه قد اقيم له كرسى فى كنيسة اورشليم وكذلك كان لمرقس الرسول كرسى فى الاسكندرية وبقى مدة طويلة من بعده ولكن الانبا بطرس خليفته رفض ان يجلس عليه قائلا :

انى لست أهلا ان أجلس مكان هذا القديس العظيم . والاسقف فى جلوسه على السينثرونس أثناء قراءة الرسائل انما يتشبه بالله لأنه وكيل سرائره قال داود النبى « الرب فى هيكل قدسه ، الرب فى السماء عرشه ، عيناه الى البائس تنظران ، أجفانه تفحص بنى البشر » (مز ١٠ : ٥)

ومن حول الاسقف يجلس ذوو المراتب الأخرى قال فى ذلك داود النبى « وليرفعوه فى مجمع الشعب وليسبحوه فى مجلس الشيوخ » (مز ١٠٧ : ٣٢)

وهذا النظام نظير مارآه صاحب الرؤيا اذ قال رأيت واذا عرش موضوع فى السور وعلى العرش جالس . . . وحول العرش اربعة وعشرون عرشاً ورأيت حول العرش أربعة وعشرين قسيساً » (رؤ ٤ : ٢ - ٤) . وهؤلاء الاربعة والعشرون منهم اثنى عشر رؤساء الاسباط واثنى عشر رسولا .

والعادة ان يكون هذا الكرسى من حجر علامة الثبات . قال داود النبى « يسترنى بستر خيمته وعلى صخرة يرفعنى » (مز ٢٧ : ٥) ونجد من أمثلة درج الكهنوت هذا فى كنيسة المعلقه ، وابى سرجا . وحارة زويلة . وابى سيفين . والقديسه بربارة وغيرها من الكنائس .

(٢) الجزء الأول ص ٢١٢ وراجع أيضاً كتاب تعاليم الرسل القانون الـ ٦٢ .

المذبح

أما موقع المذبح فيكون بين درج الكهنوت وباب الهيكل أى بين كرسى الاسقف وبين الشعب . وحيث أن الكرسى يشير الى عرش الاب والمذبح يشير الى عرش الابن فى موقع المذبح هنا معنى الوساطة بين الله والناس .

ويكون المذبح قائما فى وسط الهيكل دون أن يلتصق بالحائط ويظهر هذا من قول الرائى « فسمعت صوتا واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب الذى أمام الله » رؤ ٩ : ١٣ وقال أيضاً وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش (رؤ ٨ : ٣)

وما المذبح سوى رسم لقبر السيد المسيح أو هو الجلجثة حيث صلب لذلك وجب أن يكون قائما بنفسه كما ذكرنا .

تاريخه :

المذبح كما يفهم من لفظه هو مكان الذبح لأن العادة كانت قديماً أن تربط الذبيحة فوقه وتذبح ثم تحرق بالنار أو تأتى نار من السماء فتتقبلها ويشتمها الله رائحة رضى ثم تطورت الحالة فى أيام موسى النبى فلم يذبحوا فوق المذبح بل الى جواره حيث يصبون دم الذبيحة فى قناة ويحملون اللحم بعد تنظيفه ويضعونه على المذبح لحرقه بخوراً للرب . وأول ذكر للمذبح هو الذى ابتناه نوح ثم المذبح الذى بناه ابراهيم وبعده اسحق ويعقوب وموسى وسليمان .

نبوات عن المذبح فى المسيحية

ولقد تنبأ الانبياء قديماً عن المذبح فى المسيحية فقال اشعياء النبى عن مصر فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها اش ١٩ : ١٩ - وقال ملاخى النبى « لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الامم

وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور و تقدمة طاهرة لأن اسمى عظيم بين الامم قال رب الجنود » (ملا ١ : ١١)

ويتضح من هاتين النبوتين ومن غيرهما أن المقصود هو مذبح المسيحية . اذ لا يمكن أن يكون المقصود به مذبح الوثنيين فى مصر لأن مثل هـذا يكون مذبحاً للشيطان . ولا يمكن أن يكون مذبح اليهود لأنه من مجرى الحـديث يتضح رفض الله لمذابح اليهود ، ولأن الذبيحة حسب الناموس لا يمكن تقديمها خارج أورشليم كما يتضح من رسالة القديس اكليمنضس (٤١) اذ يقول فليست فى كل مكان كانت تقدم ايها الأخوة القرابين اليومية أو ذبائح السلامة أو ذبائح الخطية والتعدى بل فى أورشليم فقط وحتى فى أورشليم لم تكن تقدم فى كل مكان بل فى المذبح أمام الهيكل فقط وكل ما كان يقدم كان « يفحصه أولا بتدقيق رئيس الكهنة » .

اذاً لابد أن يكون المقصود هو مذبح المسيحية ، وعلى مذبح المسيحية لا تسفك الدماء بل تقدم الذبيحة الحية الناطقة غير الدموية أعنى بها ذبيحة السيد المسيح على مثال الجلجثة . ولكنها بلا ألم . فلا غرابة اذا تسمى المذبح عندنا المـائدة المقدسة أو مائدة الرب .

تسمية المذبح

ويسمى المذبح أيضاً منبراً . ومضجعاً . وخدراً . وكرسياً . وقبة . ومذبح الغفران

وكما يسمى المذبح عندنا Τράπεζα أى مائدة كذلك يسمى عند اليونان فيطلقون عليه Τράπεζα Κυρίου أى مائدة الرب وتردهـذه التسمية فى ليترجياتهم ونقرأ هذه اللفظة أيضاً فى اكو ١٠ : ٢١ ويسمونه أيضا Ἁγία Τράπεζα ἡ أى المائدة المقدسة ويسمونه أحياناً وعلى سبيل الاختصار Τράπεζα ἡ أى المائدة ونجد فى كتاب القديس أعناطيوس فى رسالته الرابعة الى أهل فيلادلفيا كلمة Θυσιαστήριον ومعناها محل الذبيحة ويقصد بها مذبح سر الشكر ونجد هـــذه الكلمة بالذات فى عب ١٣ : ١٠ وبهذه الكلمة يذكر اوسابيوس فى كتاب تاريخ الكنيسة ١٠-٤ و ٤٤

المذبح العظيم الذى فى Tyre ويفسر القديس اثناسيوس الرسولى فى (Disp-Cont. Arivm opp-1.90) كلمة ترابيزا بكلمة Θυσιαστήριον

وعندنا فى ليترجية مار باسليوس القبطية نجد أن الكلمة المستعملة هى Πιπαρεμβολη وهى توافق الكلمة العبرانية מזבח والكلمة اليونانية Θυσιαστήριον أما كلمة Βωμός فقد وردت فى مخطوطات الكتاب المسيحيين وتخص عادة مذبح الوثنيين ويذكر سفر المكابيين فى ١ : ٥٧ انه فى حكم انطيوخوس بنى رجاسة الخراب على المذبح Θυσιαστήριον وبنوا مذابح (Idol altar = Βωμός فى مدن يهوذا من كل ناحية بالمذبح الأول يراد به مذبح القدس والمذابح الأخرى هى مذابح انطيوخوس الوثنية .

وذكر هذه الكلمة Βωμός بولس الرسول فى حديثه الى الآثينيين فى اريوس باغوس اذ قال « لأننى بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحا مكتوباً عليه الاله المجهول » اع ١١ : ٢٣

ويذكر اكليمنضس الاسكندرى فى Strom VII.P717 واريجـــانس فى C. Calsum VIII. P.389 هذه الكلمة فى تعبيره أن الروح هى المذبح المسيحى الحق

أما الكلمة الشائعة عند الآباء اللاتين فهى Altara ومعناها High Altar وهى الكلمة المستعملة فى الفولجاتا وتساوى كلمة Θυσιστήριον ويستعمل هذه الكلمة Altara القديس ترتليانوس والقديس كبريانوس فى كلامهما عن السر المقدس . ويندر أن نجد فى الليترجيات اللاتينية كلمة أخرى عداها .

مادة المذبح

(١) المذابح الخشبية

وقديما كان يصنع المذبح من الخشب اشارة الى صليب المخلص ودلالة على شجرة الحياة التى كانت فى وسط الفردوس . وخوفاً من الاضطهاد اذ كانوا يضطرون الى نقله

من مكان الى مكان ومن المعروف أيضاً أن السيد المسيح عمل فصحه المبارك على مائدة من الخشب لذلك سارت الكنيسة الأولى على هذا المنوال ويؤكد آباء الكنيسة القبطية واليونانية أمثال اثناسيوس الرسولى وابتاتيوس وأغسطينوس أن المذابح كانت من الخشب .

ويضع القديس أثناسيوس أمامنا الدليل القاطع على أنه فى افريقيا بقى استعمال المذابح الخشبية حتى أواسط القرن الرابع اذ يتحدث فى (ad. Monachos. opp. 1. 847) عن انتهاك الأريوسيين حرمة الكنيسة القبطية فى الاسكندرية وحرقهم المائدة المقدسة مع أشياء أخرى فى الكنيسة .

ويذكر القديس أغسطينوس فى مقالته الـ ١٨٥ أن الاسقف الأرثوذكسى مكسيميانوس قد تهشم مع المذبح الخشبى الذى التجأ تحته . كما انه يذكر فى (موعظة ١٥٩ - ١) أن المذبح فى أيامه كان متحركا أى انه كان من خشب .

وقد وجد فى الهيكل الأعلى فى كنيسة اللاتران (Giovanna Laterano) فى روما مذبح من الخشب على شكل القبر ويؤكد الباحثون أن القديس بطرس احتفل بالعشاء الربانى على هذا المذبح وهذا كله مما يؤكد لنا أن أقدم المذابح كانت خشبية(١)

وفى نحو أواسط القرن الرابع المسيحى بدأت الكنيسة القبطية تستعمل المذابح الحجرية وأبطلت استعمال المذابح الخشبية . أما فى كنائس الغرب فلقد ظلوا يستعملون المذابح الخشبية ولم يبنوا مذابح إلا بعد ذلك بمدة من الزمان كما سيجىء . أما النساطرة (٢) فقد حرمت عندهم المذابح الخشبية بأمر بطريركهم يوحنا فى أواخر القرن التاسع .

كذلك السريان (اليعاقبه) فقد عقدوا مجمعاً فى سنة ٩٠٨ م وقرروا فيه ابطال المذابح الخشبية واستبدالها بالمذابح الحجرية .

---

(١) راجع Dict. of Ant. P.61

(٢) وهم من أتباع نسطور المجدف ولم تزل لهم بقية حتى الآن .

(٢) المذابح الحجرية

وكما صنع المذبح من الخشب كذلك صنع أو بنى من الحجر ليكون على مثال القبر الذى دفن فيه المخلص . والمذبح فى حقيقة أمره قبر ولكنه يختلف عن سائر القبور فتلك تحوى عظاماً نخره أما هذه فتحوى خبز الحياة .

ومن الأمور التى لاريبة فيها أن المذابح الحجرية قديمة العهد سواء كان فى مصر أم فى بلاد الغرب . وقل من يشك فى وجـــود علاقة بين المذابح الحجرية وقبور الشهداء ، ففى الوقت الذى كان يقدس فيه على موائد خشبية فى بيوت الرسل كان آخرون يقدسون فى الكنائس التى بنيت فى أماكن الشهداء فوق الحجر المقدس الموضوع فوق قبورهم .

وهذه العادة أعنى بها إقامة قداس فى المقبره كانت موافقة لتعاليم الرسل ، بل لقد أمروا بها فى (Apostolic Constitution 4. 17) بأن المؤمنين يدعون ليجتمعوا فى المقـــبرة لقراءة الكتب والتسبيح بالمزامير وليذكروا الشهداء القديسين وجميع المؤمنين الذين ارتحلوا عن العالم وليقدموا السر المقدس .

ويذكر Smyrneans فى خطاب له عن استشهاد القديس بوليكاربوس سنة ١٥٥م يقول فيه إن المؤمنين بعد ما أراحوا بقايا الشهيد فى مكان مناسب تواعدوا أن يجتمعوا سوياً فى هذا المكان للاحتفال بذكرى استشهاد هذا القديس (أنظر الرسالة فى استشهاد بوليكاربوس فصل ١٨) فكأن هذه العادة ترجع إلى هذا التاريخ وربما الى ما قبله أيضا .

والآثار نفسها تشهد بحقيقة التقديس فوق مقابر القديسين . نعم ان كثيراً من هذه المقابر لم تتخذ كمذابح ولكن الرأى المجمع عليه الآن أن الكثير أيضاً استعمل لهذا الغرض . واننا نلاحظ أن كثيراً من الأحجار التى تغطى القبور لها حلقات الغرض منها التمكن من حملها ووضعها فى المكان المناسب فوق المقبرة لإقامة القداس.

والنتيجة انه فى ابتداء المسيحية وفى أيام الاضطهادات كان المسيحيون يقدسون

فوق المقابر أيام دفن الشهداء أو أيام تذكاراتهم ولكن حينما حل السلام على الكنيسة بنيت كنائس فى أماكن الاستشهاد أو نقلت عظامهم الى هذه الكنائس التى سميت بأسمائهم . ويذكر القديس أغسطينوس أن مذبحاً قد أقيم فى مكان استشهاد القديس كبريانوس (Ang. Sermo CCCX. P2)

بقيت المذابح الحجرية مستعملة فى الكنائس الغربية والشرقية فى الوقت الذى كانت فيه المذابح الخشبية موجودة . ونلاحظ أن المؤمنين كما انهم استعملوا القبور كمذابح فى أيام فقر الكنيسة المادى واضطهادها . كذلك المذابح الخشبية فانهم استخدموا فى تلك الاضطهادات حتى يسهل الانتقال بها من مكان الى مكان كما سبقت الاشارة

ومن مقالة القديس غريغوريوس النيسى ٣ : ٣٦٩ عن المعمودية المسيحية يتكلم عن الحجر الذى صنع منه المذبح وأنه تقدس بالتكريس ويذكر نفس هذه الفكرة القديس فم الذهب فى تعليقه على ١كو مقالة ٢٠ ومعنى هذا أن المذابح الحجرية انتشرت بالأكثر فى القرن الرابع المسيحى . وليس هناك دليل وجيه على أن البابا سلفستر (٣١٤ — ٣٣٥) هو أول من شرع بأن تكون المذابح حجرية لأننا قد فهمنا أنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ — وأن أول أمر عثرنا عليه بهذا الخصوص ورد فى مجمع ايبونا المنعقد فى فرنسا سنة ٥١٧ فالقانون الـ ٢٦ منه يحرم أى مذبح يصنع من غير الصخر أن يرش بالزيت المقدس وحتى قرارات هذا المجمع لم تراع إلا فى جهات خاصة لأنه كان مجمعاً مكانيا .

وعلى هذا تكون الكنيسة المصرية هى البادئة بابطال المذابح الخشبية وبناء المذابح الحجرية .

(٣) المذابح المعدنية

وكما صنع المذبح من الخشب ليدل على صليب المسيح وعلى شجرة الحياة ومن الحجر اشارة الى قبر المخلص كذلك صنع من المعدن الثمين كالفضه والذهب مبالغة فى إكرام مائدة الرب . ويذكر لنا التاريخ أن أحد الناس قدم مائدة فضية لكنيسة الرها وزنها ٧٢٠ رطلا .

ويخبرنا Sozomen وهو أول من ذكر هذا النوع من المذابح عن بلخاريا ابنة الملك اركاديوس انها قدمت مذبحاً ذهبياً الى كنيسة اجيا صوفيا فى سنة ٤١٤ م

وجاء عن قسطنطين الملك الظافر أنه أهدى كنيسة مار بطرس برومية مذبحا من ذهب مرصعا بالجواهر . وذكر عنه أيضا أنه شيد فوق مذبح كنيسة اللاتران قبة من الذهب الأبريز تتدلى منها قناديل ذهبية وتعلق حولها أستار من جهاتها الأربعة .

ويذكر التاريخ عن الملك جستنيان أنه قدم مذبحا جميلا ، بل عجيبا للبازليكا الجديدة للقديسة صوفيا . وقد عمله الملك بين سنة ٥٣٢ و٥٦٣ م ويصف هذا المذبح العظيم بولس السيلانتيارى فيقول بأن المائدة المقدسة كانت من ذهب مزينة بأحجار كريمة محمولة فوق أعمدة من ذهب وكانت تعلوها قبة مرتكزة على أعمدة مموهة بالفضة وتنتهى بصليب ذهبى كبير (بولس السيلانتيارى فى وصفه كنيسة صوفيا ٥٥ : صفحة ٦٨٢) .

ونجد فى كنائس الغرب فى حوالى هذا التاريخ مذابح من معادن ثمينة ولكننا لا نعرف بالضبط عما إذا كانت من المعدن الخالص أو من الخشب المغشى بالذهب . ويدخل ضمن مجموعة المذابح الثمينة مذبح القديس أمبروسيوس فى ميلان الذى يغلب أنه أقيم قبل سنة ٧٣٥ م ونجد أطواله : ٢ بوصة ٧ قدم طولا ، ١ بوصة ٤ قدم ارتفاعا ، ٤ بوصة ٤ قدم اتساعا . أما صدر هذا المذبح فهو من الذهب . وأما عجزه فمن فضة وهو مزين ببراويز فى داخلها رسوم بالميناء . ويمكن أن يقال إن صناعة هذا المذبح هى أجمل ماوجد من نوعها .

شكل المذبح

ومهما كانت مادة المذبح فحسب الطقس القبطى يجب أن يكون المذبح على شكل قبر المخلص أى لايقام على أعمدة بل بحوائط وأن يكون من الشمال الى الجنوب أطول مما من الشرق الى الغرب كنظام صحن الكنيسة ، وجاز أن يكون مكعبا .

وقد كانت الكنيسة القبطية هى أسبق الكنائس فى جعل المذبح كشكل القبر . أما فى بلاد الغرب فقد تشكلت المذابح عندهم فوجدت عندهم مذابح عبارة عن لوحة

مقامة على أربعة أعمدة وأحياناً على خمسة أعمدة وأحيانا على عمود واحد . ثم اقتادت كنائس الغرب بكنيسة مصر فأصبح الشكل الغالب عندهم للمذبح هو شكل متوازى مستطيلات .

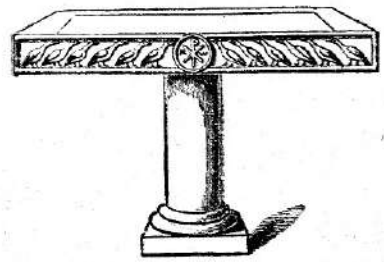

مذبح الاوريول بمقاطعة الرون فى فرنسا يرجع إلى حوالى القرن الخامس
وهو انموذج لما كانت عليه المذابح فى كنيسة الغرب

ويجب أن يكون المذبح فارغا حيث توضع فيه عظام القديسين . قال الرائى رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم رؤ ٦ : ٩ ويجب أن يكون فى الجدار الشرقى من المذبح فتحة وهى أثر قديم إذ كانت تستعمل لتخبئة الذخائر المقدسة عند الاقتضاء .

والمعروف عن المذابح القبطية ألا ينحت فيها رسوم أياً كانت وحتى الصلبان فلا نجدها على مذابحنا إنما يكتفى برسم ثلاثة صلبان بالميرون المقدس . وهذا يوافق أمر الله تعالى لموسى ألا يستعمل الأزميل فى عمل المذبح لئلا يتدنس (خر ٢٠ : ٢٥) .

أما فى كنائس الغرب فجرت العادة عندهم أن ينقشوا فوق كل مذبح خمسة صلبان واحد فى الوسط وأربعة فى الأركان ويختلف عنهم فى ذلك اليونان إذ يكتفون بثلاثة صلبان فقط فوق المذبح فيجعلون واحداً فى الوسط واثنين على الجانبين . كذلك نقشوا على كل عمود من أعمدة المذبح ثلاثة صلبان فيكون مجموعها خمسة عشر صليبا . هذا على أنهم يتفقون معنا فى رسمهم ثلاثة صلبان بالميرون المقدس فوق المذبح على اسم الثالوث الأقدس . ولقد وجد الصليب منقوشاً على اللوح المقدس الموضوع فوق مذابحنا ولكن حينما وجد اللوح الرخامى بدل الخشب لم نجد لهذا الصليب من أثر .

ومن هنا يخطىء الأقباط حين يصنعون المذابح قائمة على أعمدة ويخطئون اذا رسموا عليها صلبانا منحوتة فهذا يخالف تعاليم وتقاليد كنيستنا المجيدة .

ويمنع قطعياً أن يقوم المذبح على درج يصعد عليه الكاهن وهذا المنع بأمر الهى حتى لا تنكشف عورة الكاهن وحتى لا يدخله الغرور والكبرياء . (راجع خر ٢٠ : ٢٦)

نقل المذبح :

ونلاحظ أنه ابتداء من القرن الثالث عشر قد طرأت تغييرات على المذبح فى بلاد الغرب فألغيت القبة التى تظلل المذبح كما تزحزح المذبح من مكانه واتجه الى الشرق حتى التصق بالحائط الشرقى ! ! وهذا يخالف التقليد القديم والوضع الذى رآه القديس يوحنا فى (رؤ ٨ : ٣)

عظام القديسين

جرت العادة فى الكنائس الرسولية عموماً أن تبنى الكنائس فى مكان إستشهاد القديسين ويبنى المذبح بالأخص فوق رفاتهم . وإذا بنيت كنيسة فى أى مكان آخر فيجب أن يؤتى اليها بشىء من عظام القديسين . لذلك نجد أن القانون الـ ٨٣ من Cadex Can. Eccl. Afrie A. D. 419 يأمر بأن المذابح المقامة فى المزارع يجب أن تهدم إذا لم يوجد الدليل القاطع على وجود شهيد تحتها ووبخ الذين يشيدون المذابح لمجرد الأحلام أو الرؤى (قاموس ص ٦٢)

ونجد أيضاً أن القانون فى كنائس الغرب يحتم وجود الشهداء فى الكنائس سواء بنيت الكنيسة فى أماكن استشهادهم أو نقلت رفاتهم اليهـــا وألا تعرضت الكنيسة للهدم .

وقد جاز عندهم أنه إذا تعذر إيجـــاد الجسد الحقيقى للقديس فليس أقل من استحضار قطعة من ملابسه التى ابتلت بدمائه وقت استشهاده لتوضع تحت المذبح . كما أنهم قد أجازوا فيما بعد أنه إذا تعددت الكنائس وانتشرت وتعذر إيجاد رفات القديسين أن يجعلوا عند هذه الضرورة ورقة من كتاب البشائر المقدسة تحت المذبح

ولا شك أن فى اقامة المذابح فوق عظام الشهداء تعليما جليلا لنا إذ ننظر إلى آلام هؤلاء وما تحملوه فى سبيل الايمان والمحافظة على تعاليم الكنيسة وأسرارها المقدسة . كما أن ذلك يوافق ما رآه صاحب الرؤيا اذ يقول «ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم (رؤ ٦ : ٩) .

ووجود عظام الشهداء فى الكنائس شىء مناسب جداً فكأنما قد حضروا معنا ليحتفوا بسيدهم الكائن فوق المذبح . قال له المجد « حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور وحيث أكون أنا أريد أيضاً أن يكون خادمى » كما أن فى وضع عظام القديسين فى الكنيسة اكراماً لهم لذلك يقول داود النبى « كريم فى عينى الرب موت

قديسه » مز ١١٥ : ١٥ كما أن هذه العظام تكون للبركة ولا غرابة فقد ظهرت أعجوبة فائقة من عظام اليشع النبى إذ بمجرد أن لمستها جثه انسان ميت قام للحال ! ! قال القديس باسيليوس فى تفسيره مز ١١٥ من لمس عظام الشهداء شاركهم فى قداستهم بسبب النعمة الحالة فى أجسادهم . ويقول فم الذهب إن الشياطين لا يمكن أن يحتملوا ظل الشهداء القديسين ويجب أن نعلم أن كنيستنا القبطية لا تعلم بعبادة بقايا القديسين ـ كما تفعل الكنيسة الكاثوليكية ـ ولا تؤمن بهذه العقيدة لأن العبادة واجبة لله وحده . ومع هذا فاننا نحتفظ دائماً فى كنائسنا بهذه البقايا ونعتقد أن بها يمكن الحصول على بركة للمؤمنين ، وليس فينا أحد يشك فى هذا الأمر ، أو لم يسمع عن تلك المعجزات المتكاثرة التى تتم ببركة هؤلاء القديسين . لذا نجد فى كنائسنا هذه الأجساد أو العظام داخـــل أنابيب تكسى بالحرير ويرسم فوقها الصلبان وتوشى بخيوط الفضة والذهب ، وتحوى هذه الأنابيب أحيانا علاوة إعلى العظام الشعر وأحيانا الأسنان من بقايا القديسين ولكن ليس من يجرؤ على فتحها

والعادة فى كنائسنا القبطية أن نضع هذه الأنابيب تحت صورة القديس الذى يمثلها وأحيانا فى داخل المذبح ، ولكن ليس من عادتنا وضع هذه العظام فوق المذابح كما يفعل اللاتين . والذى أدخل هذه العادة عندهم هو البابا بيوس الرابع سنة ٨٥٥ م وهو الذى أمرهم بوضع كتاب البشائر وصندوق الذخيرة فوق المذبح وهذه كلها كانت فى العادة ترفع عن المذبح بعد التقديس كما هو جار عندنا أما الآن فتبقى فوق المذابح عندهم

◆◆◆

اللوح المقدس

وفوق كل مذبح يوجد لوح من الخشب وقد كرس بالصلاة وبمسحه بالميرون المقدس بعلامة الصليب فى جوانبه الأربعة وهو يسمى فى القبطية واليونانية πιναξ وفى بعض الأحيان يكون هذا اللوح من الرخام كما وجد فى كنائس الأديرة البحرية

أما كون هذا اللوح من خشب فليدل على صليب المخلص وعلى شجرة الحياة . أما إذا كان من حجر فيشير إلى الصخرة المتفجرة التى خرج منها اثنى عشر نبعاً لتسق أسباط اسرائيل الاثنى عشر .

ويرسمون على اللوح علامة الصليب ثلاث مرات أو خمس مرات ويكتبون عليه اسم يسوع المسيح وبعض الآيات منها « أساساته فى الجبال المقدسة أحب الرب أبواب صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب . تكلم من أجلك بأعمال كريمة يا مدينة الله » (مز ٨٦ : ١) وأيضاً « مذابحك يارب إله القوات ملكى وإلهى » (مز ٨٣ : ٣)

ولا يمكن أن يكون المذبح بلا لوح مكرس وإلا لما جاز التقديس عليه ، على أنه من الجائز عند الضرورة أن يقدس على اللوح وحده دون الحاجة إلى المذبح .

ورأيى أن اللوح إنما كان وليد الاضطهاد الذى حل على المؤمنين إذ كانت تخرب كنائسهم ويمنعون عن العبادة فيها لذلك عملوا لوحاً وكرسوه ووضعوه فوق كل مذبح حتى اذا دعى الداعى أخذوه وهربوا فكان معهم الشىء الذى خف حمله وغلا ثمنه .

على أنه قد وردت بضعة حوادث فى التاريخ ـ وإن كانت هذه الحوادث بعيدة عن الكنيسة القبطية ـ تفيد أنه عند الضرورة يجوز التقديس على يد الشماس . .

وقد ذكر التاريخ أن تواذريطوس أسقف كورش قد قدس فوق يد الشمامسة ليقرب أحد السواح .

وقال تاؤدوسيوس بطريرك اليعاقبة (السريان) إنه إذا وجدت ضرورة داعية للقربان ولم يكن مذبح فليضع الكاهن منديلا برقبته وليضع فوقه الطبع على صينية وليمسك الكأس بيده اليسرى ويقدس

وقال قرياقس بطريركهم أيضاً (+ ٨١٧) « متى سار القساوسة والشمامسة فى برية قفراء وكان معهم كأس وصينية يحمل الشماس الصينية بيمينه والكأس بيساره نائباً مناب المذبح فيقدس الكاهن على هذه الطريقة عند الضرورة » .

على أن هذه أمور شاذة لظروف شاذة .

ويكون اللوح عندنا كما قلت غالباً من الخشب . أما عند اليونان فيكون من من كتان ويسمى عندهم αντιμήσιον وعند السريان يكون من الحجر وعند النساطرة من الجلد .

لوح مقدس لمذبح كنيسة الملاك ميخائيل بفم الخليج
وعليه كتابات بارزة بالقبطية ويرجع تاريخه الى القرن الرابع عشر

القبـــة

فوق كل مذبح كبير فى الكنائس القبطية وأحيانا على المذابح الجانبية توجد قبة من خشب محمولة على أربعة أعمدة من الخشب أو الرخام وتسمى هذه القبة فى اللغة القبطية ⲥⲕⲧⲙⲏ وتكون القبة متوجة بصليب علامة الانتصار ، وتكون مغشاة بدهان نفيس من الداخل والخارج وفيها صورة السيد المسيح فى الوسط تحف به ملائكة طائرة . .

والقبة تمثل سما السموات حيث المسيح جالس على عرشه وحوله ملائكته أما الأربعة الأعمدة التى تحملها فتشير إما إلى أربعة أركان المسكونة كما يقول جرمانوس أو الى الأربعة الانجيليين الذين يرسمون أحيانا فى القبة .

وبين الأعمدة الأربعة التى تحمل القبة توجد أربعة قضبان كما نرى فى كنيسة أبى سرجا ولا شك أن الغرض من هذه القضبان هو تعليق الستائر لأنه قد جرت العادة قديماً أن يرقع المذبح بالأستار ، ومع أنه لم تبق هذه العادة فى أية كنيسة قبطية فان هذه القضبان وهذه الحلقات التى كانت تعلق منها الستائر لتثبت هذه الحقيقة .

ويذكر بولس السيلانتيارى فى وصفه كنيسة اجيا صوفيا أن القبة التى فوق المذبح مقامة على أربعة أعمدة من فضة وبين الأعمدة حوامل ثمينة للستائر . والستارة الأمامية رسمت عليها صورة السيد المسيح بالبرودريه بخيط الذهب حاملا الانجيل باليد اليسرى .

والآن لا تستعمل هذه الستائر لا عند الاقباط ولا عند اليونان .

وكانت ترخى ستائر المذبح هذه عند حلول الروح القدس وعند قراءة الاعتراف وبطل استعمالها ارتكازاً على أن الحجاب وستره فيه الكفاية لحجب القداسات عند اللزوم .

أغطية المذبح

ولما للمذبح من كرامة سامية تعودت الكنيسة منذ البدء على تغطية المذبح وفرشه بالأستار الثمينة الموشاة برسوم الملائكة والصلبان بخيوط الذهب ، وهذه الأغطية تشير إلى الأكفان الكتانية التى لف فيها مخلصنا عند دفنه .

وهناك غرض عملى من هذه الأستار وهو الحرص على الجوهر الذى فى الكأس من أن يسكب حتى لا يهرق على الأرض ومن ثم يسهل غسل هذه الأستار بشكل يدعو الى الارتياح أو حرقها وإلقاء ترابها فى جرن المعمودية أو فى ماء جار .

وأغطية المذبح عددها ثلاثة . غطاءان كبيران وواحد صغير . الأول يكون من القطن أو الكتان أو الحرير ويكون فى الغالب مطرزاً ومزركشاً بأشغال الابرة وخيوط الفضة ويجب أن يكون هذا الستر واصلا إلى الأرض تماماً من جميع النواحى وفوق هذا الغطاء غطاء ثان أكثر جمالا وأثمن فى مادته وصناعته . ويكون اللوح المقدس بين الغطاءين . أما الغطاء الثالث فهو الأبروسفارين وسيجىء الكلام عنه فى موضع آخر .

وقد لاحظ بطار قطعة قماش مربعة الشكل يبلغ ضلعها نحو نصف متر أو أقل بقليل ، معلقة فى الجانب الغربى للمذبح القبطى وهى من نسيج ثمين مزين بأشغال البرودريه وعليها صليب فى الوسط وأشكال ملائكة وغيرها فى الأركان ولكن لم يتوصل أحد إلى معرفة الغرض منها .

وجاء فى التاريخ انه فى وقت الاضطهاد ونزول الشدائد على البيع المقدسة كان الكهنة يمزقون الأستار التى على المذبح ويطفئون القناديل ويتركون الكنائس ويطلبون من الله أن ينتقم من الأشرار الذين يضطهدون المؤمنين ويخربون بيته المقدس .

عدد المذابح

ويغلب أن يكون فى الكنيسة الواحدة مذبح واحد وهذه العادة كانت قديمة جداً فى الكنائس وذلك لأنه ما كان يقام الا قداس واحد فى الكنيسة الواحدة . ولكن من بعد هذا أصبح فى الكنائس الشرقية والغربية أكثر من مذبح هذا على سبيل الاحتياط فيما لو اضطر الأمر لاقامة أكثر من قداس فى ذات اليوم .

من له حق الدخول الى المذبح

ولقد انفردت الكنائس الشرقية ولاسيما الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية بمنع العالمانيين رجالا ونساء من دخولهم المذبح

وقد جاء فى القانون الـ ١٩ من المجموع الصفوى ما نصه « ولا يحل لأحد من المؤمنين إذا لم يكن كاهناً أن يدخل الى المذبح ليتناول القربان منه » .

فالكهنة والشمامسة هم الذين يدخلون المذبح لأنهم خدام المذبح وكذا الملك له حق دخول الهيكل ـ جاء فى قانون (ع ٢٧)

« وأما الملوك فليقفوا داخل المذبح مع الرؤساء والمدبرين . لأن داود الملك وأشباهه قد كانوا يتقدمون الناس كلهم فى الصلوات » .

ما يجوز تقديمه على المذبح

وفيما عدا الخبز والخمر وهما مادتا السر الالهى لا يوضع على المذبح أو يدنى منه سوى البخور المستعمل . كذا قنينة الميرون، وزيت القنديل ويجوز الدخول الى المذبح بالفريك والعنب فى زمانهما .

وتأييداً لهذا أورد نص ما جاء فى القانون الثالث من كتاب التطلسات الرسولية

« ولا يدنى إلى المذبح بشىء من الادهان ولا يترك فيه سوى الوعاء الذى فيه دهن الميرون المقدس المعمول لذلك الذى أمر به الله . وزيت الوقيد برسم وقيد القناديل والبخور الزكى المعمول من الاستركـ ـ وقت القداس والصلاة لا غير »

وجاء فى كتاب أقوال الرسل ـ الذى تعداد قوانينه ٥٦ قانوناً ـ فى القانون الثانى ما نصه « يحرم الدخول إلى المذبح بعسل أو بلبن أو بطير أو بحيوان أو بشىء غيرما أمر به الرب . ويسمح بدخول الفريك والعنب فى زمانهما وزيت المنارة والبخور فى وقت القداس . أما بقية الأثمار فلترسل إلى بيت الأسقف أو القس ولا يدخل بها الى المذبح » .

آداب المذبح

١ـ يجب أن يقف الأساقفة والكهنة والشمامسة حول المذبح بخشوع ووقار لا مزيد عليه، ذلك لأن الكائن على المائدة معنا هو عمانوئيل. ولقد جاء فى القانون الـ ٩٦ من المجموع الصفوى « ولا يتكلم أحد جملة فى المذبح خارجا عما تدعو اليه الضرورة. ولا حول المذبح أيضاً . ولا يبصق أحد وهو على المذبح من دون ضرورة وجع »

٢ ـ تتلى الصلوات والالحان على المذبح بروح منسكب متواضع أو بفرح روحانى ولكن لا يصلى بلذة قال القديس باسيليوس فى قانونه الـ ٩٧ والذين يرتلون على المذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة .

٣ ـ لا يكنس المذبح الا الشماس وترابه يرمى فى بحر فيه تيار (راجع كتاب مصباح الظلمة الباب الثامن ، بس ٩٦ ؛ بدس ٢٩)

الفصل السادس عشر

أوانى الخدمة

أوانى الخدمة التى من متعلقات المذبح توضع عليه أثناء الخدمة ثم ترفع بعد ذلك وهذا بخلاف كنائس الغرب فانهم يبقونها فوق المذبح كما سبقت الإشارة .

والعادة أن تكرس أوانى الخدمة المقدسة مع تكريس المذبح والبيعة . ومعنى هذا التكريس هو التقديس والتخصيص بحيث لايجوز استعمال هذه الأوانى خارجاً عما كرست له . بل ولا يجوز حتى مجرد نقلها الى البيوت .

ولقد جاء فى كتاب مصباح الظلمة تحت عنوان تكريس البيعة : وليقدس الأسقف الهياكل ويكون معه سبعة قسوس ويرشها بالميرون الذى هو دهن الفرح فانه خاتم الرب . وان انكسر المذبح أو نقل فليقدس ثانياً وليعمل للهيكل لوح مكرس ينقل من موضع الى موضع كحجر بنى اسرائيل الذى كان بالبرية منقولا من موضع الى موضع . . وكل ما كان للكنيسة من متاع مقدس وأوانى فلا يحل لإنسان أن يستعملها فى بيته ومن فعل ذلك فلينف من الكنيسة بعد أن يعاقب . والعادة أنه إذا قدمت آنية الخدمة وأريد صياغتها من جديد جاز ذلك . فيصنعون من الكأس كأساً ومن الصينية صينية وهكذا .

ويذكر قرياقس بطريرك اليعاقبة (+ ٨١٧) فى كتاب الهدايا ٤٠ : ٤ أنه إذا عتقت الصوانى والكؤوس التى تستخدم فى القداس وكانت من ذهب أو فضة أو قصدير جاز أن تصهر وتستأنف صياغتها للخدمة عينها .

وهاك بيان أوانى الخدمة .

(١) الكرسى

يسمى الكرسى فى القبطية **πιτοτc** وهو عبارة عن صندوق من الخشب الثمين محلى بالصور المقدسة وله فتحة من أعلى يوضع فيها الكأس وضعاً محكماً .

وكما أن المذبح يشير الى عرش الابن فالكرسى يشير الى عرش الأب . وما أشبه الكرسى بالتابوت . لقد كان فى ذاك قسط المن وفى هذا المن السماوى دم يسوع الذى به نحيا .

(٢) الكأس

وتسمى بالقبطية **πιωοτ** وباليونانية ποτηρον وهى فى العادة متوسطة الحجم وجوانبها تكاد تكون قائمة وتحملها عنق طويلة تنتهى بقاعدة مستديرة . وكثيراً ما كانوا يرسمون على الكأس فى العصور الأولى صورة حمل اشارة الى انها تحوى دم حمل الله الذى يرفع خطايا العالم. وهذه الحقيقة يذكرها القديس ترتليانوس فى كتابه عن العفة .

مادة الكأس :

ولقد استعملت الكأس قديما من خشب وقال القديس ابيفانيوس الشهيد بهذه المناسبة يؤنب أهل زمانه « إن الكهنة فى القديم كانوا من ذهب ويستعملون كاسات من خشب وأما كهنة عصرنا فصاروا من حطب ويستعملون كاسات من فضة »

ولكن لما وجد آباء الكنيسة أن الخشب قد يصيبه العطب أو قد يتسرب بعض الدم المقدس فيه عملوا الكأس من الزجاج أو البللور وإذ وجدوا أن هذه عرضة للكسر عملوها من الفخار السميك . وأحياناً عملوها من النحاس أو الحديد أو القصدير بشرط أن تطلى إذ كان الدافع الى استعمال أمثال هذه الكاسات البسيطة هو الفقر الذى ألم بالكنيسة بسبب الاضطهادات التى نزلت بها والتى سلبتها نفائسها الثمينة وهذا الاضطهاد يرجع الى نحو سنة ٧٠٠ م وما بعدها .

ومعظم الكؤوس الموجودة فى كنائسنا الآن هى من الفضة وقد كانت من الذهب أيام الرخاء . ويقص علينا رينودوت أنه حوالى سنة ١٢١٠ م سمع الخليفة مالك العادل أنه يوجد كنز عظيم مدفون فى بئر فى دير القديس مكاريوس فى برية شيهات فأرسل أناساً وجدوا بين ماوجدوا كأساً وصينية من الفضة والى جوارهما ستراً لباب الهيكل وان هذه تساوى ٣٠٠٠ قطعة من الذهب وتزيد الرواية ان الأقباط عندما احتجوا وبرهنوا من المخطوطات ومن كتب Benefications ان الأوانى والاستار كانت تقدمات خاصة بالكنائس ، أظهر الخليفة روحا طيبة وخلقا جميلا وصرح بأن تحمل فى صناديق على الجمال الى مصر القديمة فحملها الأقباط بموكب عظيم تحف به انوار الشموع وتطربه أناشيد الكنيسة وألحانها .

وبعد هذه الحادثة بنحو ٤٠ سنة حينما نهبت كنيسة المعلقة وجدت كأس جميلة من صناعة مدفونة تحت أحد المذابح .

أسباب استعمال الكأس :

واستعمال الكأس فى القداس من وضع السيد له المجد وتصنع الكنيسة كما صنع هو ويحدثنا تقليد قديم أن السيد حينما كان يصلى فى بستان جثسيمانى حضر إليه ملاك يقويه وبيده كأس ، فالكأس إذاً تشير الى جهاد السيد العظيم لخلاص البشر . لذلك كانت العادة عند دفن البطاركة أن يجعلوا بيدهم كأساً علامة جهادهم ونضالهم .

وتشير الكأس أيضا الى الاناء الذى جمعت فيه المريمات والنسوة القديسات دم المخلص المنهمر وهو على الصليب .

وتذكرنا الكأس كذلك بالصخرة التى ضربها موسى فخرج منها ماء .

وتكون الكأس عن يمين المذبح وفى ذلك يقول حزقيال النبى متنبئاً « إن الماء كان يخرج من الهيكل عن يمين المذبح ويسقى وجه الأرض وتنبت أشجار كثيرة لا تذبل أوراقها ولا تنقطع أثمارها ، بل تكون أثمارها للأكل وأوراقها للشفاء » حز ٤٧

وتكون الكأس عن يمين الصينية اشارة الى خروج الدم من جنب السيد المسيح الأيمن وبمناسبة ذكر الكأس المقدسة تحضرنى الذاكرة بحادث كشف أثرى عظيم ورد خبره فى مجلة الكرمة الغراء (١) نقلا عن جريدة الديلى تلغراف تحت عنوان اكتشاف أثرى دينى عظيم ، وهاك ملخص هذه الحادثة:

عثر بعض الأعراب أثناء قيامهم بحفر بئر فى انطاكية على عدة آثار عبارة عن تحف فضية ، وضمن هذه المجموعة كأس من الفضة الخالصة ترجع الى أقدم عصر من العصور الوسطى . وكأس أخرى عجيبة وفريدة من الفضة أيضا وقد أطلقوا عليها

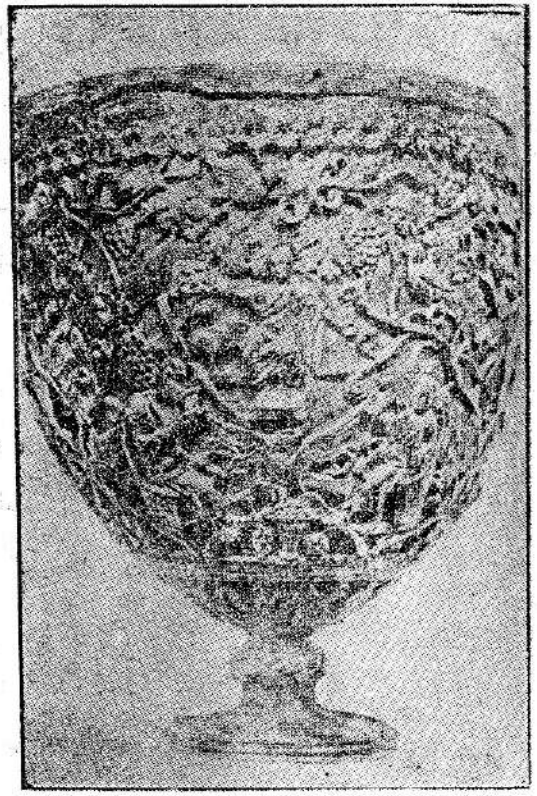

الكأس الانطاكية العظيمة

(١) السنة العاشرة سنة ١٩٢٤

اسم « الكأس الانطاكية العظيمة » وقد اشتراها اخوان كوشاكجى من تجار الآثار بباريس وبقيت عندهم حتى إذا كانت سنة ١٩١٤ قبيل معركة المارن خافوا على هذا الأثر النفيس فأرسلوها إلى محلهم فى نيويورك . . . ثم عرضوها على الدكتور غوستاف ايزن وهو من علماء الآثار المعدودين فاشتغل فى بحثها عدة سنوات وكتب عنها رسالة مطولة فى مجلدين وقد كان رأى الأستاذ ايزن ومن عاونوه من كبار الباحثين أنها أقدم كأس عرفت فى تاريخ المسيحية وأن تاريخها يرجع إلى ما بين السنة الـ ٦٠ والـ ٧٠ ميلادية

وعلى هذه الكأس صور الرسل جلوساً وإلى جانبهم ١٢ عنقوداً من العنب وزخارف أخرى ، وصورتين للسيد المسيح إحداها تمثله صغيراً إذ كان يباحث الكهنة فى الهيكل والأخرى بعد القيامة ، وقد عملت هذه الصور فى وقت كان أغلب المصورين فيها أحياء . ولكن الصورة الثانية للسيد لا تتفق مع الصورة التى اصطلح المصورون أن يظهروا السيد فيها . إذ نراه فيها جالساً على كرسى مائلا برأسه قليلا إلى اليسار وإن كان شاخصاً باستقامة إلى الامام وقد أرخى ذراعه واتشح بشملة ذات طيات مرسلة إرسالا طبيعياً ، وهو نحيف ولكنه أخاذ جميل وشعره أماسر غير ذى خصل وجبهته عريضة وعيناه خارقتان وإن أعظم ما يثير الاعتبار حلاوة تنبعث من فمه المبتسم الوقور فى آن واحد . ويقول الدكتور ايزن ان وجهه عجيب لم تستطع مخيلة أى فنان كان أن تبتكر له مثيلا . . . وفوق رأسه حمامة هى رمز الروح القدس ونجم هو رمز الميلاد وفى يمينه طبق عليه سبعة أرغفة وسمكتان وتحت قدميه حمل رفع رأسه شاخصاً اليه وبجانب الحمل نسر كبير رمز الامبراطورية الرومانية وسلة بها خبز

ومن عجب أن السيد المسيح يظهر بلا لحية وبلا شارب فى هذه الصور التى تعتبر من أقدم المراجع لصورة السيد المسيح ! !

وقد إستغرق الدكتور ايزن فى تحقيق شخصيات الصور عدة سنوات وكان أسهلها صورة السيد المسيح وصورة بطرس وصورة القديس يهوذا ويوحنا وقد عرف لوقا بما هو ظاهر عليه من الذكاء، أما مرقس فقد بدا غير جميل الطلعة وملامحه تدل على السذاجة والأخلاق الريفية وشكله يدل على يهوديته ولكن تظهر عليه ملامح الحماس والقوة، وإلى جانبه جرة ماء وقد بدت عضلاته قوية لتعوده على حمل الماء وظهر القديس يعقوب رجلا متصوفاً رقيق الجانب حلو الشمائل . أما القديس متى فظهر بثيابه الأنيقة وقد بدت عليه علائم الهيبة والوقار وتدل ملامحه على أنه يهودى من علية القوم وعلى ذراعه وشى . أما القديس بولس فقد ظهر بما يشبه هذا من علامات السلطة والقوة ، ولكن القديس يعقوب الصغير يظهر وماء الشباب يترقرق فى وجهه وله من جمال الطلعة ورقة العواطف والرصانة ما ليس له نظير . وظهر القديس اندراوس فى قوة وطلعة مهيبه

وصناعة هذه الكأس يونانية متقنة . أما نقوشها وأفكارها فمن التوراة ويبلغ ارتفاعها ٧½ بوصة محمولة على قاعدة قصيرة أما تاريخها فلا نزاع بأنها من صناعة القرن الأول المسيحى بعد قيامة المسيح بزمن وجيز لأن نقوشها وفنها يثبت ذلك .

والأمر المحير أنهم وجدوا بداخل هذه الكأس كأساً أخرى ساذجة الصناعة خالية من الزخارف وغير نفيسة المعدن وهنا نعجب كيف أن كأساً بسيطة كهذه تحفظ فى داخل كأس نفيسة قلما تجود صناعة بمثلها .. ويقول الدكتور ايزن إنه ما من شك فى أن الكأس الداخلية هى بعينها الكأس المقدسة التى مارس فيها السيد العشاء ! ! لأنه كيف تكون هذه الكأس الثمينة غلافاً حافظاً لكأس لا قيمة لها فى ذاتها ما لم يكن من فعل ذلك يعلم أنها أثر نفيس جدير بالمحافظة عليه بعناية فائقة . . . ! !

ولنلاحظ انه بناء عن أبحاث الدكتور ايزن فى تعرف شخصيات الصور يظهر

أن خمسة من الرسل لم يرسموا وهم فيلبس وتوما وبرثلماوس وسمعان ومتياس كما أن ثلاثة لم يكونوا من التلاميذ ورسموا وهم بولس ولوقا ومرقس .

وكأس ثانية ذات أهمية أثرية وجدت فى أسقفية كاليه التابعة لأبرشية باريس وتعتبر هـــذه الكأس مثلا رائعاً للكؤوس الذهبية ويؤكد علماء الآثار أنها من صناعة St. Eligius (القديس اليجوس) فهى اذاً ترجع إلى النصف الأول من القرن السابع .

وهذه الكأس ـ فى فنها ـ هى خطوة انتقال من الفن القديم إلى الفن الحديث ولذا نجد فيها شيئاً من الاختلاف إذ أنها كثيرة العمق

ويبلغ ارتفاع هذه الكأس نحو قدم وقطرها عشر بوصات تقريباً وسعتها نحو نصف لتر

كأس كاليه وهى كأس أثرية وجدت فى كاليه بفرنسا

(٣) الصينية

وتسمى فى القبطيـــة ΤΑΙCΚΟC وفى اليونانية δισκος والصينية فى العادة تكون مستديرة الشكل ومسطحة ولها حافة قائمة وليس لها قاعدة ولا حوامل كما وجد أحياناً عند الكنيسة الأسقفية. وليس عليها أى نقش ولا أى شكل محفور فيها بل تكون ملساء مستوية . وذكر أن شكل الصينية قديما كان مجوفاً

والصينية تشير إلى قبر مخلصنا وتذكرنا بقسط المن . وتشير أيضاً إلى المزود الذى ولد فيه السيد المسيح وهى فى استدارتها تشير إلى الشمس التى جعل فيها الرب مسكناً له (مز ١٨ : ٩)

وقد ورد فى كتاب مجموعة الأحبار ان الملك قسطنطين أهدى كنيسة اللاتران التى بناها صينية من الذهب وزنها ٣٠ ليرة (أكثر من ٤٣٠٠ درهم) وكأساً وزنها ١٠ ليرات (١٤٠٠ درهم) وكأساً أخرى وزنها ٢٠ ليرة .

ومن الملاحظ أن الصينية لم تذكر فيما دونه الانجيليون عن ليلة الفصح انما ذكر أن السيد أخذ الخبز على يديه الطاهرتين ولكن الكنيسة استنسبت استعمال الصينية وذلك لطول مدة القداس ولأن الكاهن لا يمكنه استبقاء الجسد المقدس فوق يديه باستمرار .

(٤) النجم

ويسمى بالقبطية وباليونانية αστηρ أو αστερισκος ويكون النجم من الفضة عادة وأحياناً من المعدن الأبيض وهو عبارة عن شريطين مقوسين ومتقاطعين فيكونان قبة توضع عادة فوق الصينية حتى إذا تغطى الحمل بلفافة فانها لا تمسه وهو يذكرنا بالنجم الذى ظهر فوق المزود حيث كان يسوع مضطجعاً ويقول التاريخ إن فم الذهب هو أول من استعمل النجم فوق الصينية . ومن ثم صار استعماله فى سائر الكنائس .

(٥) الملعقة

وتسمى بالقبطية **ⲡⲓⲙⲏⲑⲏⲣ** وباليونانية λαβις ويقـــال إنهم كانوا يستعملون قديماً ملقطاً من فضة يمسك به الكاهن الجوهرة ويضعها فى يد المتقدم للمناولة وأحياناً فى فمه وهذا كما أمسك السارافيم الجمرة ومس بها شفتى أشعياء النبى فطهرتا . وكان تناول الدم الأقدس من الكأس مباشرة والظاهر أن استعمال الملعقة لم يظهر الا فى القرن السادس وتكون الملعقة من الذهب أو الفضة أو المعدن وتكون نصف كروية ويدها مستقيمة وقد ينقش عليها بالحفر بعض كلمات مقدسة .

(٦) الصليب

وهو من متعلقات المذبح وقت الخدمة ويسمى بالقبطية **ⲡⲓⲥⲩⲉ ⲉⲟⲩ** وباليونانية **ⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ** ويقول عنه القديس امبروسيوس فى الميمر ٥٦ كما أن السفينة لا تقوم بدون سارية كذلك لا تقوى الكنيسة أن تقوم دون الصليب .

ويكون الصليب من الذهب أو من الفضة أو المعدن ويمسكه الكاهن أثناء بعض الصلوات . والصليب فى يد رئيس الكهنة سلاح به ينتصر على قوات الشر كما يقول داود النبى « بك ننطح مضايقنا باسمك ندوس القائمين علينا » (مز ٤٤ : ٥) وكما يقول أشعياء النبى « فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه . . . » (أش ٥٩ : ١٧) وهو فى موقفه هذا يشبه الملاك الذى قاد الشعب الاسرائيلى فى البر ويشبه رئيس جندالرب الذى تراءى ليشوع بن نون وسيفه مسلول فى يده .

والصليب فى يد الأسقف أو الكاهن يشير إلى وكالته عن السيد المسيح وحينما يقدمه الكاهن للشعب ليقبلوه انما يقصد بذلك تقبيل الذى صلب عليه .

وفى صعود الكاهن إلى الهيكل حاملا الصليب يذكرنا بصعود رب المجد إلى الجلجثة حاملا صليبه ليقدم جسده ذبيحة مرضية لله أبيه .

وفى تسلم الكاهن للصليب إشارة إلى السلطان المعطى له من الله لصنع الآيات لأن موسى لما بسط يديه بشكل الصليب انتصر ولما رفع حية النحاس فى البرية شفى الشعب من لدغات الحيات ولما ضرب الصخرة وقد قيل إنه ضربها على هيئة الصليب ، انفجر منها الماء . والآباء القديسون باشارة الصليب غلبوا وانتصروا وعملوا المعجزات .

ويجب أن نعلم أن الأقباط قد استعملوا الصليب المقدس منذ بزغت شمس المسيحية أما فى كنائس الغرب فلم يستعملوه بصفة رسمية الا فى عهد الملك قسطنطين(١) على أن مارتجنى يقول بأنه قد وجد علامة الصليب على مقابر رومية ترجع إلى ما قبل ذلك .

ويوضع الصليب على المذبح مرفوعاً أثناء القداس وهو فى هذا الوضع يذكرنا برفع السيد المسيح على الصليب فوق الجلجثة ! !

شكل الصليب

ولو تأملنا فى شكل الصليب لوجدناه مختصراً لاسم السيد المسيح

وقد رسمه البعض هكذا

وهذا الرسم الأخير هو بالذات علامة الحياة عند قدماء المصريين وكانت تسمى عندهم **ⲁⲛⲕ ⲙⲡⲥⲱⲧⲏⲣ** وأحياناً رسموه فى بلاد الغرب هكذا T

وهاك أنواع الصليب عند مختلف المذاهب المسيحية

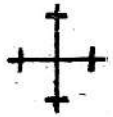

(١) الصليب القبطى وكل طرف منه له ثلاثة أجنحة تدل على الثالوث الأقدس وفى مجموعها اثنى عشر تدل على عدد التلاميذ

---

(١) راجع (Dict. of Anti P. 494)

(٢) صليب الروم الأرثوذكس والروس وهم يعتقدون أنه قد أضيف للصليب قطعتان واحدة لربط الرس وأخرى لربط الرجلين لضبطهما.

(٣) صليب للأقباط ويستعمله كذلك الروم الأرثوذكس

(٤) صليب بيظنطى وهو يوافق الروح الأرثوذكسية وموجود فى أحجبة الكنائس القبطية القديمة.

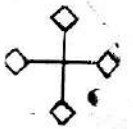

(٥) صليب الأرمن وهو أرثوذكسى أيضاً ويشير إلى انتشار بركات الصليب، فى أقطار المسكونة الأربعة.

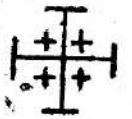

(٦) صليب اللاتين وهو خاص بالقدس وهو مخمس للدلالة على عدد جيوش الصليبيين فى حروبهم لخلاص بيت المقدس

(٧) صليب يدل على وجود طبيعتين فى السيد المسيح وهو يوافق الروم واللاتين

هذه هى أشكال الصليب المختلفة وقد تفنن الفنانون فى رسمه بحيث لم يخرجوا عن هذه القواعد ويجب على الاقباط أن يراعوا دائماً فى الصلبان التى يرسمونها على كنائسهم أن تكون متفقة مع معتقدهم الأرثوذكسى . إذ أننا نعتقد دائماً بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للسيد المسيح ، وأنه لما يؤسف حقاً أنى رأيت بعض الكنائس الحديثة وقد خرجت عن المألوف فى رسم الصلبان القبطية أو الارثوذكسية وهذا خطأ جدير بنا اصلاحه

صليب اللاتران

وهو من الصلبان العظيمة التى ترجع إلى القرن الرابع ، وترى الروح القدس بشبه حمامة فوقه وقد تدفقت منه أربعة أنهار علامة البركات التى تفيض من الصليب على بنى البشر وهو مصنوع من الموزايكو

علامة الصليب

لقد تعود المسيحيون منذ فجر المسيحية أن يتخذوا علامة الصليب المقدس شعاراً لهم فيحلون به صدورهم ويرسمونه على أيديهم ، وهذا التعليم اساسه كلام رب المجد إذ قال وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء مت ٢٤ : ٣٠ ولا شك أن علامة ابن الانسان هى علامة الصليب كما يقول فم الذهب والقديس كيرلس الكبير وأبو الفرج وغيرهم . لأنها هى العلامة المناسبة للمخلص ومعروفه لجميع أقطار المسكونة ، ولم تكن بدء علامة الصليب من عهد قسطنطين الملك البار الذى رأى الصليب فى السماء وسمع القول يناديه قائلا « بهذا تنتصر » بل قبل ذلك بزمن طويل

قال صاحب كتاب ريحانة النفوس فى أصل المعتقدات والطقوس وهو بروتستانتى المذهب « إن الكنيسة القديمة تعتبر جداً التعليم القائل إن الخلاص إنما هو بدم المسيح المسفوك على الصليب ، فكان هذا التعليم دائماً نصب أعينهم لذلك اتخذوا اشارة الصليب رمزاً مناسباً يشير إلى جميع البركات التى نالوها بواسطة موت المسيح

وأن المسيحيين كانوا يستعملون هذه الاشارة مراراً كثيرة جداً فى جميع أعمالهم . عند النوم والقيام واللبس واضاءة السرج والصلاة . وبالاجمال فى كل حركة قاصدين أن يدلوا بذلك على أن الديانة الانجيلية يجب أن تدخل فى جميع أعمال الناس(١) .

ونقرأ بين أقوال ترتليانوس التى كتبها فى الجيل الثانى « إن المسيحى الحقيقى يرشم دائما على نفسه إشارة الصليب عند خروجه من البيت ، ودخوله فيه ، عند رقاده وانتباهه ، عند لبس ثيابه وعند تناوله الأكل ، عند جلوسه وفى جميع أعماله » ويقول القديس باسيليوس « من التقليد تعلمنا أن نرسم الصليب على جباهنا وعلى سائر الأمكنة » .

وقال القديس ذهبى الفم فى تعليقه على (مت ١٠) « برسم الصليب يتقدس جسد الرب . . . تبتدىء الكهنة وسائر رتب البيعة وجميع الأمور التى تتقدس تكرس بهذا الرسم - رسم صليب الرب - وبدعوة اسم المسيح لأنه صورة الملك الأعظم وهو خاتم اسمه فكما أن ملاك النقمة أهلك جميع أبكار مصر دون الاسرائيليين لأن أعتاب بيوتهم كانت مرسومة بعلامة الصليب بدم الخروف كذلك كل شىء يوضع عليه رسم صليب الرب لا يقترب اليه المفسد » .

كيفية رسم علامة الصليب

عندما نرسم ذواتنا بعلامة الصليب المقدس نستعمل دائماً الأصبع الابهام فنضع أصبعنا أولا على جبهتنا ونقول (باسم الاب) وذلك اشارة إلى أن الله هو فوق الكل وأنه عالى فوق الأعالى . ثم نتجه إلى أسفل ونضع أصبعنا على آخر الصدر وأول البطن ونقول (والابن) اشارة إلى نزول السيد المسيح وتجسده فى بطن السيدة العذراء . ثم نضع أصبعنا على الصدر من اليسار وننقله إلى اليمين ونحن نقول (والروح القدس) ومعنى هذا أننا بإيماننا بالسيد المسيح وبعمادنا بالمياه الحال فيها

(١) كتاب ريحانة النفوس ص ٦٥ و٦٦

الروح القدس ننقل من اليسار الى اليمين - ثم نقول (إله واحد آمين) اقراراً منا بوحدانية الذات الالهية .

ولقد كانت كنيسة رومية تتفق مع كنيسة الاسكندرية فى تقليد رسم الصليب من اليسار إلى اليمين وتتبعهما فى ذلك كنيسة أورشليم وأنطاكية ولكن الآن قد غيرت كنيسة رومية هذه العادة القديمة وأضحت ترسم الصليب من اليمين الى اليسار وتتبعها فى ذلك كنيسة اليونان .

تاريخ خشبة الصليب

عند الآباء السريان والروم الارثوذكس قصة تاريخية عن خشبة الصليب فيقولون بأن الله تعالى قد أمر لوطاً أن يغرس شجرة سرو فى المكان المعروف الآن بدير المصلبة وهو يقع فى غربى أورشليم على بعد بضعة أميال وأوصاه أن يسقى هذه الشجرة من نهر الاردن الذى يبعد عن هذا المكان بنحو ٥٠ كيلو متراً . وفعلا أخذ لوط جرته وذهب الى الأردن وملأها وفى عودته صادفه فى الطريق شيخ أضناه التعب وسأله أن يسقيه فلما أمال لوط الجرة رماها ذلك الشيخ على الأرض فتناثرت أجزاؤها . ولم يكن ذلك سوى شيطان تشبه بشكل انسان مسكين . . . فتقفل لوط راجعاً إلى الاردن وتحصل على جرة ملأها ولما عاد صادفه الشيطان فى الطريق فى شكل امرأة تحمل طفلا يبكى من شدة الظمأ وتوسلت اليه أن يسقى طفلها فأعطاها الجرة فسكبتها على الأرض .

ثم عاد لوط للمرة الثالثة الى الأردن وملأ الجرة ورجع فى طريقه وأعانه الرب على الوصول سالماً فروى شجرة السرو فنمت وأينعت .

قيل إنهم أخذوا صليب رب المجد من هذه الشجرة ! ! ويؤمن بهذا التقليد السريان والروم الارثوذكس ويترنمون به فى صلواتهم ومن أجل هذا أنشأوا فى هذا المكان الدير المعروف باسم دير المصلبة .

وبعد الصلب

قام الامبراطور أدريانوس قيصر برحلة فى أنحاء مملكته سنة ١١٧م فمر بمدينة أورشليم فلما وجدها خراباً على أثر ماحدث لها من التدمير فى سنة ٧٠ م عين أخا زوجته أكيلا لكى يعيد المدينة الى ما كانت عليه من عظمة فبنى أكيلا هيكلا لجوبيتر على انقاض هيكل سليمان .

وأقام صنما عظيما للالهة فينيس فوق الجلجثة وبنى هيكلا للاله أدونيس فوق المغارة التى ولد فيها السيد المسيح . . ثم طمر القبر المقدس بالاتربة وكان اليهود منذ صلب المسيح يضعون الزبالة فوق المغارة التى كان فيها الصلبان فجعلوا كومة عالية فوقها

وكان المسيحيون يأتون من بلاد نائية ويسجدون فى هياكل الأوثان فى الظاهر ولكنهم يقصدون السيد المسيح ويتبركون من تلك الاماكن المقدسة وكان الوثنيون يظنونهم يسجدون لالهتهم فيالها من عناية عليا عناية الله التى حفظت للمسيحيين آثار مسيحيتهم المقدسة بل وحرية عبادتهم فى ذلك الوقت العصيب ! !

ويذكر أوسابيوس المؤرخ أن الملك قسطنطين اذ كان يحارب فى رومية ظهر له صليب من نور مكتوب عليه بهذا تنتصر وقد ظهر له السيد المسيح فى رؤيا الليل ومعه صليب وأمره أن يصنع مثاله ويجعله شعاراً لجيشه ، وفعلا جعل قسطنطين الملك علامة الصليب على راية من ذهب وانتخب لحمله خمسين بطلا من حرسه الخاص ولقد انتصر الملك قسطنطين فى تلك الموقعه انتصاراً باهراً .

البحث عن خشبة الصليب :

ولما استتب السلام على يد الملك قسطنطين اتفق مع والدته الملكة هيلانة أن تذهب الى الأراضى المقدسة وتبنى هناك الكنائس لعبادة السيد المسيح وقد أعطاها لأجل ذلك الأموال الوافرة . وعندما وصلت الى القدس هدمت هيكل الزهرة وغيره ثم سألت عن مكان الصليب فأرشدها مقاريوس الاسقف بمساعدة شيخ يهودى اسمه يهوذا الى مكانه وكان مزبلة هائلة ! ! فلما رفعوا الاتربة وجدت ثلاثة

صلبان ولوح الكتابة ، وأدوات الصلب . ولكى تميز أيها صليب المسيح ، أشار الاسقف مكاريوس أن تضع الصلبان بالتوالى على جثة انسان ميت فالصليب الذى يقيم الميت يكون صليب المخلص . وبهذه الطريقة عرفت الصليب المجيد فكان ذلك اليوم عيداً ، ولا زالت الكنيسة تعيد فى كل عام بتذكار ظهور الصليب فى يوم ١٧ من شهر توت . ثم بنت الملكة هيلانة فوق ذلك المكان كنيسة القيامة سنة ٣٢٨ وكانت تسمى أولا كنيسة القمامة نظراً لأن مكانها كان مزبلة كبرى .

بناء الكنائس الفخمة

ومن ثم بدأت الملكة هيلانه تبنى الكنائس الفخمة فى القدس فبنت كنيسة فوق مغارة الصليب وأخرى فوق القبر المقدس وثالثة فوق الجلجثة . ورابعة فوق المهد وخامسة فى علية صهيون باسم آبائنا الرسل وسادسة فى مكان الصعود فوق جبل الزيتون وسابعة فوق قبر لعازر فى بيت عنيا ، ثم بنى الملك قسطنطين كنائس أخرى غير هذه . وقام بتدشين هذه الكنائس القديس اثناسيوس الرسولى بابا الاسكندرية مع بطريرك انطاكية بدعوة من الامبراطور فى سنة ٣٣٥ م وقد طافوا باحتفال رائع بهذه الكنائس وهم يحملون خشبة الصليب المجيد ثم أعادوا خشبة الصليب الى مكانها فى مغارة الصليب وكانت محفوظة داخل غلاف من ذهب مرصع بالجواهر الثمينة

اين خشبة الصليب

ذكر فى التاريخ أن خشبة الصليب كان سمكها نحو شبر فنشرتها الملكة هيلانة الى نصفين أرسلت نصفها الى ابنها فى رومية بعد أن لفته بالحرير ففرح به الملك قسطنطين وقبله بوقار وابتهاج عظيم .

وفى سنة ٦١٤ اعتزم خسرو ملك الفرس محاربة الامبراطورية البيظنطيه فأرسل جيوشه فاكتسحت فلسطين وخربت الكنائس وهدمت كنيسة القيامة وأخذوا الصليب المجيد وسبوا زخريا بطريرك أورشليم - وقيل ان زوجة خسرو كانت

مسيحية فجعلت الاب زخريا تحت رعايتها وحافظت على خشبة الصليب ثم قامت حرب بين الامبراطور هرقل وبين الملك هرمز بن خسرو فانتصر هرقل واشترط فى مواد الصلح استرداد خشبة الصليب والبابا زخريا فكان ذلك ورجعوا الى أورشليم ودخلوها من باب الدهريه فى يوم ٦ أزار سنة ٦٣٠ وكان الامبراطور هرقل يحمل خشبة الصليب وهو حافى القدمين ودخل كنيسة القيامة فى موكب عظيم وهو على هذه الصورة وكانوا ينشدون فى الطريق قائلين « خلص شعبك . بارك ميراثك . امنح ملوكنا المؤمنين الغلبة على البربر بقوة صليبك . . »

ثم وضع الامبراطور خشبة الصليب فى المغارة وبقيب هناك ٥ سنين الى أن نقلها الامبراطور هرقل الى القسطنطينية خوفاً من هجوم العرب .

(٧) كتاب البشارة

ومن الاشياء التى تلازم المذبح وقت الخدمة المقدسة كتاب البشائر أى الأناجيل الأربعة وهى فى أغلب الكنائس مكتوبة بخط اليد باللغة القبطية وأحياناً باللغة العربية أو باللغتين معاً وموضوعة داخل غلاف من الفضة محلى برسم الانجيليين الأربعة فى زواياه « ورسوم أخرى . وفى الغالب يرسمون على وسط الغلاف من هنا السيدة العذراء حاملة ابنها الحبيب ومن الناحية الأخرى رسم قديس البيعة .

(٨) درج البخور

وهو يوضع فوق المذبح المقدس وقت الخدمة وقد وجد فى كنيسة السيدة بربارة من خشب مطعم ونقشت عليه الرسوم نقشاً بديعاً كما وجد من الفضة وهو الأكثر شيوعاً وأحياناً من المعدن على أن صناديق البخور كانت فى العصور القديمة من الذهب الخالص .

(٩) المبخرة

وجدير بنا أن نتكلم عن المبخرة والبخور فى هذه المناسبة . تسمى المبخرة فى اللغة القبطية ⲑⲩⲙⲓⲁⲧⲏⲣⲓⲟⲛ وباليونانية Θυμιατήριον وتصنع المبخرة فى الغالب من الفضة

وأحياناً من المعدن وكانت قديماً تصنع من الذهب أما شكلها فهو معروف لدينا ولكن جدير بنا أن نبين مافى هذا الشكل من معان روحانية جميلة حتى يعلم غير الارثوذكس أن عبادتنا الطقسية انما هى عبادة تقوية روحانية قبل كل شىء . فالسلاسل الثلاث التى تحملها تشير الى الثالوث الأقدس وارتباطها سوياً انما يشير الى وحدانية الجوهر الالهى ، أما الجلاجل فلتنبه الشعب الى عمل الخير ولتذكرنا بما حدث لمن تعدوا على كهنوت هرون فضربهم الرب بالوبأ ولم تهدأ وطأة الموت فيهم إلا حينما وقف موسى مبخراً بين الاحياء والأموات . ومن أجل ذلك تأمر الكنيسة بالتبخير عن الأموات للرحمة وعن الأحياء للنجاة . أما الخطاف وجزؤه المدلى فيشير الى السيد المسيح الذى تنازل وهبط إلى العالم ! ! والقبة العليا للمبخرة ترمز الى السماء ! ! والجزء المجوف من المبخرة يشير الى بطن السيدة العذراء ! ! والمواد الذكية التى توضع فيها تشير الى الهدايا التى قدمها المجوس للطفل الالهى ، وهى الذهب واللبان والمر ! ! كما تشير الى الاطياب التى وضعها يوسف ونيقوديموس على جسد المخلص ! !

أما احتراق البخور فيدل على آلام المسيح ؟ والرائحة الذكية المتصاعدة منه فتدل على ماكان لتلك الآلام المقدسة من بركات متوافرة ! ! . . . وعلى مثال السيد ينبغى أن يكون المؤمن رائحة بخور ذكى قال الرسول « فاننا نحن رائحة المسيح الذكية فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون (٢ كو ٢ : ١٥)

أما جمر النار فيشير الى جمر اللاهوت والفحم يشير الى الجسد الذى هو من طبيعتنا واشتعال الفحم يشير الى اتحاد اللاهوت بالناسوت .

ويذكر آباء الكنيسة أن البخور المتصاعد من المبخرة إنما يشير الى صلوات القديسين أمام عرش الله . وفى هذا يقول صاحب الجليان ، وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ ٨ : ٣ و ٤)

والمبخرة قديماً حسب الطقس الرومانى كانت بلا سلاسل وكانت تحمل على اليد

ولا تزال كذلك عند السريان . وهى توضع على المذبح وأحياناً على قبور الموتى حين الصلاة عن نفوسهم ، وقد كانت هناك عادة قديمة أن تحمل على اليد أمام العظماء احتراماً لهم .

البخور

معلوم أن الله تعالى قد أمر موسى بأن يصنع مائدة مغشاة بالذهب خصيصاً لايقاد البخور ، وهو اللبان ، والميعة ، وغيرها ، فى كل صباح وفى كل مساء . ولكى يجعل هذا الأمر مهاباً حكم ـ تبارك اسمه ـ بقوله « كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه » خر ٣٠ : ٣٨ — هذا شأن البخور فى العهد القديم وتلك هى مكانته ، أما عن البخور فى العهد الجديد فلقد تنبأ عنه ملاخى النبى بقوله « لأن من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور طاهر لأن اسمى عظيم بين الامم قال رب الجنود » (١ : ١١) ولا يجوز لأحد أن يظن أن المقصود هنا هو بخور العهد القديم لأنه ما كان يجوز رفعه إلا فى الهيكل فى أورشليم وحدها وليس فى كل مكان من مشرق الشمس إلى مغربها كما يحدثنا هذا النبى العظيم .

من أجل هذا أمر الرسل (١) الأطهار بتقديم البخور أثناء الصلوات على مثال مارأى صاحب الرؤيا اذ قال « ولما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخوراً هى صلوات القديسين » رؤ ٥ : ٨

مناسبة البخور لبيوت العبادة :

ولاشك أن البخور مناسب ولائق ببيت الله لذكاء رائحته وطيب عرفه وما أجمل أن نقدمه لله مع صلواتنا ، وهو فى صعوده الى العلاء علامة اخلاص ومحبة وولاء من بنى البشر لربهم « وكأنما يشعرنا بارتفاع صلواتنا الى الله تعالى فيشتمها رائحة بخور ذكية . قال داود النبى « لتقم صلاتى كالبخور قدامك مز ١٤٠ : ٢

(١) راجع قانون ٣٠ من قوانين الرسل .

وفى البخور معنى جميل هو التفانى والاحتمال اللذان بهما تظهر رائحة المؤمنين الذكية ، فهم كلما دخلوا فى نيران التجارب ، فاح منهم عطر الشكر لله والتسبيح لجلاله كما تفوح الروائح الطيبة من البخور أثناء احتراقه . قال مار افرآم فى هذا الصدد « قد جعلت ذاتى كنيسة للمسيح وقربت له داخلها بخوراً وطيباً ، أعنى أتعاب جسمى »

والكاهن اذ يبخر أمام المذبح إنما يعبر عن رغبات الشعب فى أن تصعد صلواتهم الى عرش الله كما يصعد هذا البخور الى مذبحه المقدس ؟ بل اذ نتأمل الكاهن يبخر وسط الشعب وقد غمروا فى دخان هذا البخور ، نجد أن هذا يشير الى نعمة الروح القدس تظللهم كما كانت السحابة تظلل بنى اسرائيل فى البرية ! !

أنواع البخور الجائزة :

يجب أن نعرف انه لايجوز أن نقدم فى المجمرة شيئاً من أصل حيوانى مهما كان ذكى الرائحة فالعنبر مثلا مما يحرم تقديمه بخوراً فى المجمرة . أما الأنواع الجائزة فهى

١ — صندروس . وهذا لم يبخر به الكهنة الوثنيون لآلهتهم .

٢ — لبان جاوى . ولقد قدم هـــذا للاله أبولون ولكن المسيحيين قدموه فى الكنيسة .

٣ — عود .

٤ — حصا لبان على جاوى وهذان بخورهما ذكى جداً .

(١٠) المراوح

ومن الأدوات الملحقة بالمذبح المراوح وتسمى باليونانية εξαπτερυγμα ويستعمل اثنتان منها أثناء القداس يحملهما شماسان واقفان واحد عن يمين المذبح والآخر عن يساره . . . وهما فى موقفهما هذا ، يمثلان الكاروبين الحاضرين أثناء الخدمة المقدسة .

وتصنع المراوح من ريش النعام أو من ريش الطاؤوس كما تصنع أحياناً من النسيج ويصورون فوقها الكاروبيم ذا الستة أجنحة . وأحيانا أخرى تصنع من

نسيج من خيوط الفضة أو الذهب ، وقديماً كانت تصنع من صفائح النحاس أو الفضة أو الذهب ولا زلنا نراها فى كنائس الأرمن والموارنة من النحاس أو الفضة .

وتعلق بالمراوح جلاجل والغرض من هـــذه الجلاجل اثارة الانتباه لأهمية الموقف أما رفرفة المراوح فتدل على العجب والدهشة الذى يستولى على الملائكة لهذه الاسرار المقدسة الرهيبة الفائقة الادراك ! !

واستعمال المراوح قديم فى الكنائس الشرقية والغربية اذ كثيراً مارأينا صوراً قديمة للتلاميذ القديسين وفى أيديهم المراوح .

لذلك تأمر القوانين الكنسية باستعمالها ولقد جاء فى القانون (رسطب ٥٢) « وليقف شماسان على المذبح من ناحيتيه ويمسكا مراوح معمولة من شىء ناعم ويطردا الذباب لئلا يقع شىء منه فى الكأس »

كذلك القانون (دسق٣٨) ... والستارة مفروشة وداخلها القسوس والشمامسة حواليه يروحون بمراوح مثال أجنحة الكاروبيم .

وهناك عادة قديمة عند اليونان فى يوم الجمعة الكبيرة وعند تقديس الميرون أن يقف سبعة شمامسة حاملين المراوح

ويتضح من بعض المخطوطات فى الفاتيكان أن الأقباط كانت عندهم هذه العادة، وفى هذه المخطوطات وصف بديع لحفلة الميرون عندنا . وتتألف هـذه الحفلة من اثنى عشر ابوديا كون حاملين الشموع واثنى عشر أبوديا كون آخرين حاملين مراوح واثنى عشر كاهناً حاملين مباخر والاسقف يحمل اناء الزيت ويغطى الاناء بستر ابيض يحمله دياكون وحول الاسقف جمهور من الكهنة .

(١١) إناء لحفظ الذخيرة

جدير بى ألا يفوتنى أن أذكر شيئاً عن إناء قيل إن الاقباط قد استعملوه وهو اناء حفظ الذخيرة المقدسة .

وإن قيل إن مثل هذا الاناء كان الغرض منه حفظ الذخيرة بضعة أيام كما يفعل الكاثوليك الآن، فهذا مايجب أن ننفيه نفيا باتاً لأن قوانين الكنيسة القبطية لاتجيز ابقاء شىء من الجواهر الى يوم تالى مهما كانت الظروف .

اما أن يكون هذا الاناء لحفظ الذخيرة لاستعمالها فى ذات اليوم لطوارىء حادثة كمناولة مريض أو مسافر فهذا ما يمكن تصديقه .

أما مايوجد اليوم فى الكنيسة القبطية فهو اناء من الفضة محكم الغلق يضع فيه الكاهن جزءاً من الجواهر لمناولة مريض طلب من الكاهن أن يناوله وليس عندنا الآن من عادة لحفظ الذخيرة للطوارىء حتى ولا لذات اليوم .

وفى حديث رينودوت المؤرخ عن البابا فيلوثاؤس الـ ٦٣ من بطاركة الكرسى الاسكندرى العظيم يذكر هذا الاناء . ويقول هذا المؤلف فى هذا الصدد ولو أن حفظ الذخيرة كان مباحاً فى حالة الضرورة القصوى فإنه كان مأموراً فى هـذه الحالة أن تبقى القدسيات على المذبح والشموع موقدة حولها وكاهن يراقبها على أن هـــذا الترتيب لايمنع من استعمال اناء خاص .

ومما يدل على أن الأقباط لم يجيزوا ابداً ابقاء الذخيرة الى يوم تالى ماذكره التاريخ من أنه فى سنة ١٠٠٠ م رفعت شكوى ضد بعض الكهنة لأنهم كسروا القانون لحفظهم الذخيرة حتى لايزعجوا انفسهم بالتقديس يومياً .

ولقد قيل إن بعض الكنائس القبطية كانت تحفظ الذخيرة داخل الكرسى كما هو الحال عند الاحباش ، ولا يستبعد هذا الرأى لأن طقوس الكنيسة الحبشية مأخوذ عن أمها الكنيسة القبطيه .

(١٢) قنينة الميرون

وقديماً كان يوضع الميرون فى اناء خاص وليس فى زجاجة عادية كما هو الحال الآن . ويحفظ الاناء فى العادة فى الهيكل وأحياناً فوق المذبح .

وقد وجد فى كنيسة الانبا شنوده بمصر القديمة اناء أثرى للزيت المقدس، وهو عبارة عن صندوق خشبى جميل وعجيب وهو مستدير الشكل وله غطاء حلزونى وفى داخل الصندوق ثلاثة ثقوب مستديرة كان يوضع فى كل منها قنينة صغيرة تحوى كل واحدة منها نوعاً خاصاً من الزيوت المباركة وهى زيت الميرون وزيت مسحة المرضى وزيت أبو غلامسيس .

الطشت والابريق

ومن الأوانى الموجودة فى الهيكل الطشت والابريق وهما من النحاس أو الفضة ويوضعا على كرسى من الخشب فى الجهة البحرية من المذبح حتى يتسنى للكاهن أن يغسل يديه .

ويوجد فى الكاتدرائية القبطية بمصر ابريق من الفضة يستعمل فى بعض المناسبات ويقول علماء التقليد ان الديا كون فى رسامته يتسلم الابريق والطشت والفوطة .

أوانى وأدوات أخرى

وهناك أوانى خارج المذبح منها .

الطبق

أو الحصير وهو يصنع من الخوص صناعة جميلة ويكون محلى بالصلبان وأحياناً يبطن بقماش حريرى ومحلى بالصلبان أيضاً وكانت الأطباق تصنع قديماً من خيوط مغشاة بالذهب والفضة ! ولا عجب فعليها يقدم الحمل الالهى .

الصنوج

وهى الدف والناقوس أو التريانتو ويضرب بها حتى تكون نغماتها متفقة مع الحان الكنيسة الشجية وتسابيحها المفرحة للروح . قال داود النبى سبحوا الرب بصلاصل شجية الصوت .

الفصل السابع عشر

القسم الثانى من أقسام الكنيسة المقدسة

وإذا خرجنا من الهيكل نجد القسم الثانى من الكنيسة الخاص بالشمامسة والمرتلين ويفصل هذا القسم عن القدس، الحجاب وقد علقت عليه الأيقونات المقدسة ولهذا نتكلم أولا عن الصور فى الكنائس .

الايقونات

الايقونة هى رسم دقيق تمثل شخصاً ، ويحاول راسمها أن تظهر شخصية المرسوم فيها كأن يبرز هيبته أو قداسته وعفته أو شجاعته واقدامه أو وداعته وبساطته . وقد تكون الايقونة أو الصوره لاستحضار فكرة مقدسة فى شكل رسم منظور . ولكن الكنيسة القبطية اهتمت بالنوع الأول من الايقونات فرسمت السيد المسيح فى مواقف مختلفة لكنها واقعية وحقيقية فمثلا صورة السيد المسيح يقرع الباب كما جاء فى سفر الرؤيا « ها أنا واقف على الباب واقرع . . . » ليس لها وجود فى كنيستنا . . .

كذلك اهتمت الكنيسة القبطية بتصوير الشهداء والقديسين متسربلين بالنعمة والوقار .

وقد يدعى البعض من أصحاب المذاهب البروتستانتية انه لايجوز وضع الايقونات فى الكنائس أو تكريمها لأن فى ذلك روح العبادة الوثنية وأن الله تعالى قد حرمها بقوله « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما . . . » (خر ٢٠ : ٤) ومعانى فى كتابى هذا لم أقصد أن يكون جدلى فيه الى أناس لايؤمنون بالعقيدة الارثوذكسية المقدسة اذ ليس هو بكتاب جدلى انما هو كتاب طقسى وتقليدى . ولكنى مع هذا أعالج بعض الشىء هذه النظرية الخاطئة . فنص الآية حسب النسخة السبعينية التى كتبها

علماء يهود أعرف الناس بلغتهم يقول « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صنما ما . . . » فلم ترد فى الآية كلمة صورة ومن أجل هذا صرحت الكنيسة القبطية بعمل الصور دون التماثيل .

ومع هذا فإن باقى الآية فيه الدليل على أن المقصود هو غير المعنى الذى ظنته الطوائف البروتستانتية ففيه يقول « مما فى السماء من فوق . . . » ومعروف أن « ما » ليست للعاقل بل لغير العاقل فيقصد بها مما فى السماء من نجوم وكواكب وشموس وأقمار . . . دون أن يكون قصده تعالى صور الملائكة أو القديسين ولذا يأمر الرب موسى أن يصنع شكل الكاروبيم فى قدس الاقداس فجعل كاروباً من هنا وكاروباً من هناك يظللان التابوت ومجد الرب كان يظهر بين الكاروبين وموسى كان يكلم الله اذ يضع اذنه فوق التابوت من بين الكاروبيم « تصنع كاروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعها على طرفى الغطاء فاصنع كاروباً واحداً على الطرف من هنا وكاروباً آخر على الطرف من هناك . . .) (خر ٢٥ : ١٨) فهل يأمر الله تعالى بالمتناقضات ! ! حاشا .

أما اعتراضهم على السجود للايقونات فالكنيسة القبطية تعلم دائماً وجوب احترام الايقونات لا عبادتها وهى لا تعلم بتقديم الاحترام لذات الايقونة إنما لما تحمله من معانى مقدسة وما أشبه الايقونة بالكتاب الذى نحترمه لا لورقه ولا لحروف طباعته إنما لانه يحمل المعانى المقدسة ولذا يعبر المسيحيون عن اكرامهم الايقونات بوسائل مختلفة اما بايقاد الشموع أو باحناء الرأس . وهذا الاكرام كما قلت يقدم لصاحب الايقونة .

وحتى السجود أمام الايقونة ليس فيه من خطأ فهو سجود للاكرام لا للعبادة كما كتب البروتستانت فى ص ٦٥٧ من كتاب اتفاق البشيرين فى شرح كلمة «سجود» قالوا سجد أى خضع وانحنى والسجود التطامن مع خفض الرأس ولا يلزم أن يكون على قصد العبادة إلا اذا كان لله فإن كان للانسان فهو اكرام .

أما تاريخ الايقونات فى المسيحية فيرجع الى تاريخ المسيحية نفسه منذ ان كان المخلص على الأرض ، فيروى لنا المؤرخ المشهور أبو الفرج بن العبرى فى كتابه مختصر الدول ، أن أبجر ملك الرها قد أوفد رسولا من قبله يستدعى السيد المسيح ليأتى اليه ويشفيه من داء عضال ، ولكى يقيم عنده مدة اذ اشتاق جداً الى رؤياه . فأرسل السيد اليه صورته ووعده بارسال تلميذ له حتى اذا وصلت الصورة شفى من مرضه . . . وقال هـذا المؤرخ أيضاً « وفى سنة ٣٣١ هـ فى جماد الاول الموافق ١١ يناير سنة ٩٤٣ م بعد ما وصل الروم أردن ونصيبين وقتلوا وسبوا ، طلبوا منديلا من كنيسة الرها كان المسيح قد مسح به وجهه فارتسمت فيها صورته على أنهم يطلقون جميع من سبوا فاستفتى الخليفة وأرسل المنديل فأطلقوا الاسرى »

وذكر هذه الحادثة أيضاً يوحنا الدمشقى بقوله إن الرب أرسل صورته الى ابجر ملك الرها فبرىء من الجزام الذى كان قد اعتراه ونجت مدينته من الحريق . . . ويقال إن هذا المنديل لا يزال محفوظاً فى مدينة رومية حتى اليوم .

ويذكر البعض أن السيد عند قيامته ترك اللفائف التى كانت على وجهه فارتسمت عليها صورته وأنها موجودة بتورين . وذكر أن نيقوديموس بعد أن دفن جسد السيد رسم صورته على الصليب ثم أعطاه لغمالائيل وحدث ان أخذ اليهود الصليب وطعنوه بحربة فخرج منه دم ملأ كنيستهم وأخذ منه كثيرون للتبرك . وهذه الحادثة المروعة يذكرها القديس أثناسيوس الرسولى ومن بعدها وبسببها انتشر بناء الكنائس باسم المخلص .

أما أوسابيوس القيصرى المؤرخ فيذكر أن المرأة النازفة الدم اذ أخذها العجب من المعجزة التى أجراها السيد معها ، صورته على نحاس وبجوارها امرأة تنحنى وتلمس هدب ثوبه . ويذكر التاريخ أيضاً أن لوقا البشير كان مصوراً ماهراً وقد استأذن السيدة العذراء أن يصورها فأذنت له فصورها حاملة ابنها ولقد سرتها هذه الصورة وتداولتها الكنائس كما أنه صورها بضعة صور أخرى قيل إن احداها هى الموجودة فى العزباوية بالازبكية بمصر وأن الأخرى موجودة بدير مار مرقس فى القدس .

ويقول الرحالة فانسليب (١) إن تاريخ فن التصوير المصرى يرجع الى العصر المسيحى الاول والى زمن الرسل، وزاد أنه كانت بمدينة الاسكندرية إيقونة للملاك ميخائيل رسمها القديس لوقا الانجيلى ، وتذكر التواريخ أن أهل البندقية أتوا الى الاسكندرية وأخذوا هذه الصورة وحملوها الى عرض البحر ولكنهم كانوا يحملون بتيار جارف الى الميناء خمس مرات ! ؟ وأخيراً تركوها . . ! واذ سمع بعض الاعراب بقيمة هذه الصورة ، اقتحموا الكنيسة مفكرين أن يسرقوها ويبيعونها للفينيقيين ، ولكن حدث أنهم لما كانوا داخل الكنيسة ، أن أمسكت أقدامهم بقوة عجيبة . كلما حاولوا أن يخرجوا بغنيمتهم ، وهكذا فشلوا هم الآخرون فى عملهم الشاق ! !

الاقباط وفن التصوير

ولقد برز بين الأقباط من أساطين فن التصوير عدد يذكر ، حتى أن بعضهم يقول إن وجود الصور الجميلة فى الكنائس القبطية ، دليل على وجود مدرسة للفن الجميل فى مصر فى ذلك الحين فاقت نظيراتها فى ايطاليا ، وانك لترى جمال التصوير القبطى لا يزال أثره على خرائب كنيسة باويط . ويقول المقريزى بأن البطريرك كيرلس الكبير كان أول من أقام الصور فى كنائس الاسكندرية وفى كنائس مصر وأصدر أمراً لجميع كنائس الكرازة بذلك سنة ٤٢٠ م .

ولقد اهتم بابوات مصر بتشجيعهم للايقونات المقدسة حتى أن بعضهم اشتهر باتقان هذا الفن الجميل اقتداء بلوقا البشير المصور فيذكر عن الانبا مقار البطريرك ٥٩ انه كان رساماً ماهراً

ومن الذين اشتهروا أبو الفتح بن الاقعى المعروف بابن الحوفى المصور سنة ١١٨٦ م ومنهم أبو اليسرى من مليج وذكر عنه أبو المكارم انه رسم صور الاعياد السيدية لكنيسة السيدة بحارة الروم

(١) ص ٦٢ من كتاب دليل المتحف القبطى .

فى كنائس الغرب :

كذلك اهتمت كنائس الغرب بعمل الايقونات المقدسة خصوصاً كنيسة القسطنطينية وكنيسة روميه .

ويقول البستانى فى دائرة معارفه . . . ولما وصل فن التصوير إلى ما وصل اليه من الانحطاط كانت الديانة المسيحية قد امتدت إلى أقسام كثيرة من العالم ، فحاول أتباعها قبل أيام قسطنطين عمل صور رمزية للدلالة على أشخاص مقدسين وأعمال مقدسة ، فانهم كانوا يرمزون بصورة الحمل إلى المسيح ، وبصورة الكرمة وأغصانها إلى المسيح وتلاميذه ، وبصورة السمك إلى المعمودية ، وبصورة السفينة إلى الكنيسة وبصورة الصليب إلى الفداء ، وعندما كثر المرتدون من اليهود فى الكنيسة الأولى المسيحية ، كانوا يصورون المسيح اتباعاً لبعض آيات العهد القديم خالياً من كل جمال

وأكثر آثار الصناعة المسيحية فى القرون الثلاثة الأولى يوجد على جدران أو أسقفة مدافن روميه فانه وجد فى مدفن القديس كالكستوس صور كثيرة لقصص وأمثال ورموز من الكتاب المقدس وكذلك صورة المسيح كالراعى الصالح وهى أقدم صورة معروفة فى تلك الأيام وربما جعلت مثالا لصور أخرى .

ولما وطد قسطنطين أركان الديانة المسيحية ، وتمكن مزينو الكنيسة القديمة الأتقياء من أن يخرجوا من ظلمة المغائر ، نقلوا مصنوعاتهم إلى الأبنية الجديدة التى أعطيت للديانة الجديدة

وورد فى دائرة المعارف المذكورة تحت كلمة إيقونات ، أن دروس الأثرى الشهير ، أكد أن هذه الصورة التى تمثل راعياً يحمل على منكبيه خروفان وبجانبه خروفان يحدقان به ، وما يماثلها كصورة العذراء مع الطفل يسوع تقدم لهما أوانى الطيب والأكاليل دلالة على اكرامهما ، هى من صنع الجيل الأول المسيحى ومن هذه الصور الأثرية أيضاً صورة السيد المسيح حالة كونه جالساً على جبل تصدر منه أربعة أنهار وبيده قضيب أو صليب .

وذكر هذه الصورة من رجال الجيـــل الثانى ترتليانوس فى كتاب المعمودية (راس ٧و١٠) وذكرها اكليمنضس الاسكندرى فى المربى فصل ٣ وذكرها أوريجانوس فى دفع ترهات خصمه شلصص .

اضطهاد الايقونات :

والايقونات كأصحابها التى تمثلهم لاقت هى الأخرى اضطهاداً بل حرباً فى الشرق وفى الغرب . . . فلقد قامت فى مصر حملة قوية واضطهادات مرة لا ضد المسيحيين بل ضد كل ماينتمى إلى المسيحية ، ضد الكنائس ومبانيها فعملوا السيف فى الخلق وعملوا معاول الدمار والنار فى الكنائس فتهدمت وأحرقت فلم تبق أيقونات ولانقوش ولهذا لم تبق فى الكنائس المصرية أيقونات أقدم من القرن الثالث عشر .

ومن الصور المشهورة فى هذا العصر ماوجد على الكرسى فوق مذبح كنيسة ابى سيفين وتاريخها سنة ١٢٨٠ م وتعتبر أقدم صورة فى مصر ومن الصور القديمة الموجودة أيضاً صورة البشارة بكنيسة حارة زويلة يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٥٥ م ولقد اشتهرت الكنيسة القبطية بكثرة ايقوناتها حتى لقد بقى منها الشىء الكثير بعد زمن الاضطهاد ويثبت ذلك مانراه حتى الآن فى كنيسة المعلقة وأبى سيفين وأبى سرجة وغيرها .

ومن الذين تزعموا حركة اضطهاد الايقونات يزيد بن عبد الله وهو أول من أمر بمحو الصور من الكنائس سنة ٨٢١ م ومنهم أسامة بن زايد الذى هدم الكنائس وكسر الصلبان ومسح الصور . ومنهم عصبة بن عبد العزيز من ولاة الدولة الأموية الذى دخل الكنيسة القبطية بحلوان وإذ رأى صورة السيدة حاملة ابنها سأل عنها فلما أخبروه بشأنها تهكم وبصق عليها . . . ولما رجع إلى داره رأى فى رؤيا الليل وإذا بجندى يطعنه بحربة طعنة نجلاء فصرخ واستيقظ ومات بعد وقت وجيز .

وفى سنة ٨٦٠ م أمر ثاوفيلس قيصر الروم بازالة الصور من الكنائس ولهذا لم تبق أية صورة فى أية كنيسة فى ذلك الحين ومن هنا بدأ فن النقش والرسم يضعف قليلا وظل متقدماً نوعاً ما فى القرن الحادى عشر اذ يذكر رينودوت أنه وجدت كنيسة فى حقل الحبش بالقرب من مصر القديمة وقد وجد مخطوط قبطى فى أيام أبى صالح الأرمنى يشهد بأن النقش على جدرانها عمل فى سنة ٧٥٩ للشهداء الموافقة سنة ١٠٤٣م وللأسف لم يبق أى أثر لهذه الكنيسة الجميلة . ولقد كان القرن الحادى عشر هو آخر العهد بالنقش على جدران الكنائس ومن ثم تلاشى نهائياً .

ولقد كانت النقوش فى الكنائس على الرخام وعلى المصيص وأهم أجزاء الكنيسة التى كانوا ينقشون عليها الصور والنقوش هى أعمدة صحن الكنيسة الداخلى كذا الجزء المجوف فى شرقية الهيكل ولا زالت بعض هذه الصور على أعمدة كنيسة أبى سرجة كما توجد فى المعلقة صورة كاملة على أحد أعمدتها .

لوثر يدافع عن الصور :

وحتى مارتن لوثر زعيم البروتستانت كان يدافع عن الايقونات فيقول فى كتابه المسمى Winer Comparat Symbolie Werscied Kirche « من هو ذاك الذى بلغ به العمى إلى هذا الحد حتى يرى انه من الخطأ تصوير الحوادث التاريخية المسيحية ونقشها ووضعها فى البيوت والهياكل المقدسة ؟ أنا لا أرى خطأ فى ذلك . انه مسموح لكل مسيحى أن يتخذ صور القديسين لأنها حروف هجائية تذكرنا بالمرسومين عليها وتشخصهم لنا » (عن الهدية)

وورد فى الجزء الأول من تاريخ الاصلاح للبروتستانت الذى طبع فى بيروت سنة ١٨٧٦ م فى ص ٦٤و٦٥ منه الخطاب الذى القاه لوثر فى مجلس أورليندا لزعيمه كارلوستاد قوله « إننى إذا سجدت قدام إيقونة الصلبوت لا أكون بذلك قد سجدت لايقونة يسوع مصلوباً ، ولا لخشبة علق عليها الفادى ، إنما أكون قد سجدت لذات الفادى بتكريمى الخشبة ، ومن فهم خلاف ذلك فقد أخطأ . وإذا وجد من

تورط فى مثل هذا التكريم وانتقل منه إلى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتضى إصلاحه ، ولا يليق بنا ان نزدل تكريم الأيقونات إذا وجدأناس أساءوا التصرف به وإذا كان هناك من لايدرك تكريم الايقونات وانتهى به الأمر إلى عبادتها فهل نلتزم بذلك الكف عن تكريمها ؟ . هب أنه وجد من أساء زيجة سنها الله فهل تهجرون بسبب فعله نساءكم فتطردونهن من بيوتكم ، وإذا وجد من أساء تعاطى الخمر فهل تهرقونها على الأرض وتنقطعون عن شربها مكتفين بالماء »

مميزات الصور القبطية :

وتتميز الصور القبطية بخلوها من وضع قطع المعادن كالفضة والذهب على أجزائها بخلاف اليونان اذ يغطون أجزاء الجسم ويضعون اكليلا من معدن على الرأس ولا يتركون الا الوجه . والسبب فى عدم وجود هذه البروزات فى الصور القبطية ، أن الكنيسة القبطية لا تقر التماثيل إطلاقاً ، حتى أن التماثيل لم توجد ولا فى مبانى الأقباط ، ولم يوجد شاهد واحد خلاف هذا .

ونلاحظ أن الفن القبطى فى التصوير كان يتطور فلم تكن له القيود الصارمة بل كان مرناً طالما أثر فيه الفن البيظنطى . على أن الفنان القبطى احتفظ بشخصيته بارزة فى الصور التى عملها ولم تقتصر شخصيته على الظهور فى الطراز فقط بل برزت كذلك فى طريقته فى اظهار صاحب الصورة فى الموقف الذى أعجبه فمثلا نرى صورة رئيس الملائكة جبرائيل مرة حاملا سيفاً وأخرى حاملا صليباً وأحياناً ماسكاً بوقا وأخرى وحيداً ومرة فى ملابس الحبرية الكاملة .

ونلاحظ أن إيقونة الراعى الصالح الكثيرة الانتشار فى كنائس الكاثوليك ، هى معدومة فى كنائسنا ، كذا لا نجد صورة سفينة السمك . وهذا لأن الكنيسة القبطية لم تهتم بتصوير الأمثال كالراعى الصالح والابن الضال ، ولا الحوادث كشفاء المولود أعمه أو اقامة لعازر ، انما اهتمت بمواقف السيد المسيح الكبرى كالميلاد والعماد والصلب والقيامة . كما اهتمت برسم التلاميذ والقديسين والشهداء والبطاركة.

وتنفرد الكنيسة القبطية دون غيرها من الكنائس ، بكونها لم تصور تعذيب القديسين على الأرض ولا الخطاة فى جهنم . أما كنائس الغرب فنرى فيها القديسين يلاقون العذاب والآلام المختلفة ، من رجم وصلب وقتل بحد السيف ، وحرق بالنيران ، والقاء إلى الوحوش الضارية وغير هذا... فنرى مثلا فى أديرة جبل أثوس ، ان كل كنيسة جعلت فى داخل مقصورة صورة قديسها فى حالة استشهاده ويذكر Curzon ان اليونان ينفردون بمحبة مناظر الفزع والعذاب الشنيع وأنه لم ير قديساً يونانياً واحداً بمنظر جميل .

ولا يتفق الأقباط لا مع اليونان ولا مع البيظنطيين فى تغطية الصور بصفائح من الفضة أو الذهب ولا نعرف متى بدأ هذا التغير فى فن الصور فى بلاد الغرب ويذكر كرزون بين ماذكره من هذا النوع من الصور صورتان للامبراطورة ثيودورا أخذا من القسطنطينية فى أواسط القرن الخامس عشر وهذه الصور موجودة فى دير فاتوبيد فى جبل آثوس .

ويقول بطلر إن الغرض من غلاف الفضة هو حمايتها مما قد يصيبها من جراء كثرة تقبيلها ولكن يظن أن هذا قصد به التفنن فى تجميلها وتجسيمها .

ترتيب الايقونات فى الكنيسة :

لقد اعتادت الكنيسة أن تجعل للايقونات نظاماً خاصاً ، فجعلت صورة السيد المسيح مصلوباً فى أعالى الحجاب فوق الباب الملكى . وفى هذه الصورة نرى السيدة العذراء من ناحية اليمين ويوحنا الحبيب من الناحية الأخرى وقد ظهر صليب اللصين على الجانبين لصليب يسوع .

وهذه الصورة تطابق تماماً حادثة الصلب أما رفع صورة يسوع مصلوباً فلتذكرنا برفعه على الصليب فوق جبل الاقرانيون ، ووضع الصورة أمام أعين المؤمنين لكى تجعلهم يفكرون فى يسوع الذى صلب عنهم وفداهم بدمه الطاهر وكما قال الرسول « أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا »

أما صورتا اللصين فلتذكرانا بأن يسوع قد صلب لأجل الجميع ولكن البعض يستفيدون من الصليب والبعض لايستفيدون فهذا اللص الذى كان عن اليسار رفض الأيمان بيسوع فرفض من الملكوت ، وهذا يذكرنا بمن سيكونون عن يمين المسيح ومن سيكونون عن يساره فى يوم الدينونة الرهيب مت ٢٥ : ٣

وفى تأملنا فى يسوع مصلوباً وما عاناه من آلام لخلاصنا تزكو محبتنا لمن صلب لأجلنا ويهون علينا حمل صليبنا الخفيف بالقياس إلى صليب يسوع .

وجعلت الكنيسة صورة العشاء الربانى فوق باب الهيكل الأوسط أى تحت صورة الصلبوت ، فتكون صورة الصلبوت مرفوعة أعلى الحجاب وصورة العشاء موق الباب مباشرة وإلى جوار صورة العشاء تظهر صور التلاميذ الاثنى عشر ستة فن الناحية البحرية وستة من الناحية القبلية .

ونلاحظ أن صورة يسوع توضع دائماً عن يمين باب الهيكل كما أن صورة السيدة العذراء توضع عن يسار الهيكل وبذا تكون السيدة العذراء عن يمين ابنها كما يقول النبى « جلست الملكة عن يمين الملك » وفى هذا الوضع تكون ايقونة السيدة العذراء إلى الناحية البحرية لذلك يبخر الكاهن إلى هذه الناحية قائلا « نعطيك السلام مع جبرائيل الملاك قائلين السلام لك يامتلئة نعمة الرب معك » ومن الناحية الأخرى وعن يسار صورة السيد المسيح تكون صورة يوحنا المعمدان لذلك يبخر الكاهن إلى هذه الناحية (قبلى) قائلا « السلام ليوحنا بن زكريا ، السلام للكاهن ابن الكاهن » وقد أخطأت بعض الكنائس إذ جعلت صورة السيدة العذراء إلى الناحية القبلية عن يسار صورة السيد المسيح وجدير بنا أن نتلافى مثل هذه الأخطاء التى تدل على نسيان تعاليم الكنيسة والجهل بها .

وعن يمين السيده العذراء من الناحية البحرية أيضاً من الحجاب توضع ايقونة الملاك جبرائيل المبشر ثم ايقونة الملاك ميخائيل خادم القيامة ثم ايقونة مار مرقس ثم ايقونة سادتنا الرسل إن لم تكن قد وضعت فى أعلى الباب عن يمين ويسار ايقونة

العشاء .ثم ايقونة قديس البيعة أو شهيدها إن لم يكن قد ورد فى هؤلاء على أن البعض يستحسنون وضع قديس البيعة عن يمين السيدة العذراء مباشرة ـ ومن الناحية الأخرى من الحجاب توضع صورة يوحنا المعمدان كما سبقت الاشارة وغيره من الايقونات .

وقد اهتمت الكنيسة بوضع صور هؤلاء القديسين والشهداء ليكونوا لنا مثالا فهم الذين حملوا الصليب من قبلنا وانتصروا ونحن كجنود للسيد المسيح وجب علينا أن نسير فى أثر هؤلاء القادة الأبطال ولننظر دائماً إلى نهاية سيرتهم ولنتمثل بايمانهم .

المنجلية

المنجلية كلمة يونانية معناها مكان الانجيل وتسمى أيضاً القراءة وفى الغالب تكون قائمة على أربعة أرجل وفوقها وفى وسطها حواجز لوضع الكتاب المقدس وعلى جوانبها توجد شوك أو مغارس لتثبيت الشمع وأحياناً يجعلون عند أركانها صلباناً مرتفعة وقد تكون المنجلية على شكل كتاب مائل إلى الأمام والقسم الأسفل منها عبارة عن خزانة لحفظ كتب الخدمة أو لوضع الدفوف والنواقيس .

وتزين المنجلية بالصلبان المطعمة بالعاج والأبنوس على نظام الحجاب وأجمل مثال للمنجلية تلك الموجودة بالكنيسة الكبرى بالقاهرة وقد كانت أصلا من أثاثات كنيسة المعلقة ويظن أنها ترجع إلى القرن العاشر أو الحادى عشر وهى قطعة نادرة من الفن الجميل وترى العاج المرضع فيها وقد نقش بأقصى مايمكن أن يتصوره العقل من الفن والجمال .

أما كون المنجلية تقوم على أربعة أرجل أو عمدان فهذا اشارة إلى الأربعة الانجيليين ولذلك يمكننا أن نرسم عليها صورة الأربعة الحيوانات غير المتجسدين الذين ذكروا فى سفر الرؤيا وهم يشيرون إلى الانجيليين الأربعة وقد سبق الكلام عنهم عند كلامنا عن الحجاب.

وتوضع المنجلية أمام الهيكل والعادة أن يوضع منها اثنتان واحدة من الناحية البحرية ووجهها للشرق لقراءة القبطى وأخرى من الناحية القبلية ووجهها للغرب لقراءة التفسير العربى .

والمنجلية تشير إلى جبل سيناء الذى صعد اليه موسى وتسلم الشريعة من الله .

بيض النعام

ويعلق بيض النعام فى القسم الثانى من الكنيسة وأمام باب الهيكل ونجد بيض النعام كذلك فى كنائس اليونان .

وفى بعض الكنائس كانوا يعلقون عوضاً عن بيض النعام بيضاً صناعيا من القيشانى مرسوماً عليه رسومات جميلة ولكن لا يوجد منه شىء الآن فى كنائس مصر وقد وجد فى بعض كنائس الصعيد . وحجم هذا النوع أقل نوعاً من حجم البيض الطبيعى .

وقد يكون فى تعليق بيض النعام فى الكنائس تذكيرنا بالقيامة العتيدة . كما أن فيها معنى آخر فكما أن انثى النعام عندما تضع بيضها تظل شاخصة اليه حتى يفقس كذلك نحن يجب أن نشخص إلى الله حتى ننتقل من هذا العالم ولنتعلم أيضاً أن عين الله شاخصة تنظر إلى بنى البشر فلا يليق بنا أن نخطىء .

الفصل الثامن عشر

القسم الثالث

أما القسم الثالث من الكنيسة فيخص الشعب وهو خورس جماعة المؤمنين ويحضرون فيه من أول القداس حتى آخره . وبهذا القسم نجد الأمبن واللقان .

الامبن

ويسمى باليونانية αμΒων وهو عبارة عن مكان مرتفع يقف عليه الاسقف أو القسيس للوعظ أو قراءة الخطب وهو يوجد فى الناحية البحرية من قسم المؤمنين قريباً من الهيكل وهو فى الغالب مصنوع من الرخام الابيض أو الملون وأحياناً من الخشب ويحفر فيه رسوم وزخارف من الصلبان والزهور وغيرها ويكون محمولا على أعمدة يغلب أن تكون اثنى عشر على عدد تلاميذ ربنا . ويوصل اليه سلم من الرخام وله شرفة فى أعلى ويكتبون على الامبن « فليرفعوه فى كنيسة شعبه وليباركوه فى مجلس الشيوخ . . . » مز ١٠٦ : ٣٢ كما وجد على امبن كنيسة مرقوريوس بالفسطاط .

وفى كون الامبن من الحجر وهو الأغلب والأصح يشير إلى الحجر المتدحرج عند باب قبر المخلص والذى جلس عليه الملاك وبشر النسوة بقيامة المسيح ومن أجل هذا جعل الامبن للوعظ والتبشير .

واننا لنشك فيما إذا كان يوجد أمبن أقدم من القرن العاشر الميلادى على انه يحتمل أن يكون أمبن المعلقة وأبى سيفين أقدم من هذا التاريخ ولذا فهما يعتبران آثاراً قيمة .

وكما تقال المواعظ من فوق الامبن كذلك تقرأ عليه منشورات الاسقف وكانوا قديماً يقرأون الانجيل من فوقه حتى تكون قراءته من مكان مرتفع عن مكان

قراء الرسائل وكانت عادة فم الذهب أن يعظ وهو جالس فوق الامبن (تاريخ الكنيسة لسقراط ٥٠٦)

وقد وجد فى بعض الكنائس ثلاثة من الامبن واحدة لقراءة الانجيل وواحد لقراءة الرسائل وواحد لقراءة النبوات .

ويصف لنا بولس السيلانتيارى الامبن الذى شيده الملك جستنيان فى كنيسة القديسة صوفيا فيقول إنه قائم فى وسط الكنيسة تقريباً ولكنه يقرب إلى الشرق قليلا وله درجان من السلم توصلان اليه واحد من الشرق والآخر من الغرب . وهو مغطى بقبة محمولة على ثمانية أعمدة رخامية وهو مصنوع من أرقى أنواع الرخام

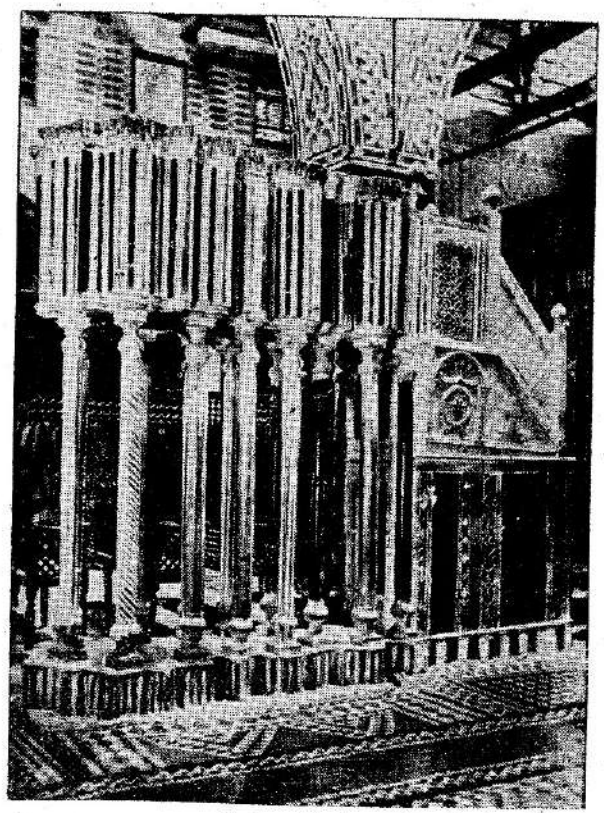

الامبن

وأفخرها وهو محلى بالذهب والأحجار الكريمة والبسطة التى فى أعلى السلم رحبة وكافية لأن يتوج فيها الامبراطور كما كانت العادة (١)

اللقان

اللقان عبارة عن إناء من الحجر أو الرخام ويوضع فى الناحية الغربية من الخورس الثالث موازياً للامبن وقد وجد فى بعض الكنائس القديمة مثبتاً فى أرضية الكنيسة ويغطى أو يكشف عند اللزوم .

وتوضع المياه فى اللقان ويصلى عليها القداس الخاص بها ثلاث مرات فى السنة الأول فى عيد الغطاس والثانى يوم خميس العهد والثالث فى عيد الرسل الأطهار .

لقان الغطاس :

ويعمل فى ليلة عيد الغطاس تذكاراً لعماد ربنا فى الاردن من يوحنا المعمدان ويصلى على اللقان بعد رفع بخور عشية . فيبدأون بصلاة تمجيد أمام أيقونة القديس يوحنا المعمدان وفى هذا الوقت يكون اللقان قد أعد وملىء بالماء العذب ، وبعد التمجيد يسير الكهنة والشمامسة والمرتلون ومعهم الصلبان والشموع إلى حيث اللقان. ويبدأون بصلاة نصف الليل ولا غرابة أن يعمل لقان الغطاس ليلا لأنه كما نعرف عن تقليد قديم أن الرب اعتمد فى الليل وعلى هذا المثال يعمل اللقان ليلا . وجرن اللقان إشارة إلى الأردن الذى اعتمد فيه الرب .

ثم تصلى التسبحة على المياه كترتيب الأعياد السيدية الكبرى ثم يصعد الجميع الى الهيكل لاحضار رئيس الكهنة إن كان حاضراً بالتراتيل المناسبة والشموع الموقدة وهو مرتد ملابس الخدمة حتى إذا عادوا ابتدأ الرئيس بصلاة الشكر ثم يقدم البخور ثم تقال المردات المناسبة إن كانت أيام آدام فآدام وإن كانت أيام واطس فواطس .

---

(١) (Dict. of Anti, p. 72, 73)

ثم يقرأ رئيس الكهنه النبوات وكلها تناسب عظمة الله وأحكامه على الطبيعة والمياه وقد اختارتها الكنيسة من صلاة حبقوق النبي ومن نبوات اشعياء النبي ومن باروخ النبي ومن حزقيال النبي . ثم يقرأ الشماس البولس ويقولون لحن خاص بيوحنا المعمدان ، ثم يقرأون الانجيل من (مت ٣ : ١ - ١٧) وتصلى يارب ارحم ١٢ مرة بالكبير بالناقوس ، ثم يصلى الكهنة الاواشي السبعة ، من أجل المرضى ومن أجل المسافرين ومن أجل الأهوية ومن أجل الملك ومن أجل المتنيحين ومن أجل الصعائد والقرابين ومن أجل الموعوظين .

ثم يصلى الكاهن طلبة خاصة ثم يرفع الصليب وبه ثلاث شمعات مضاءة ويقولون يارب ارحم مائة مرة بالصغير.

ثم يصلى رئيس الكهنة أوشية السلامة ، وأما أوشية الآباء والجماعة ، فيصليها الكاهن الشريك ، ثم يقولون الأمانة ، ثم يبدأ رئيس الكهنة وإلا فالكاهن بصلاة القداس الذى للقان وأوله ، محبة الله الاب ونعمة الابن الوحيد . . . حتى ينتهى من هذه الصلاة الجميلة الرهيبة التى تبعث الشوق السماوى إلى النفوس والتى تملأ الانسان بركة ونعمة حتى إذا انتهى منها يحضرون الشملة الخاصة ويبلها الكاهن الخادم الشريك من ماء اللقان المقدسة ويرشم بها رئيس الكهنة أولا ثلاثة رشوم فى جبهته . وما أشبه هذا الموقف بموقف المعمدان وهو الصغير من سيده رب المجد ثم يرشم باقى الشعب فى جباههم وفى هذه الأثناء يرتل الشمامسة والمرتلون المزمور المائة والخمسون الذى أوله سبحوا الله ياجميع قديسيه . ثم يصلى الكاهن صلاة شكر لله على نعمه التى أفاضها

ويجب أن نلاحظ أن الآباء الرسل قد أمروا بعمل هذا العيد الجليل وقد ورد نص هذا الأمر فى (دسق ١٨) « ومن بعد هذا الابيفانا - عيد الظهور الالهى أى الغطاس - فليكن عندكم جليلا لأن فيه بدأ الرب أن يظهر لاهوتيته فى الأردن من يوحنا . واعملوه فى اليوم السادس من الشهر العاشر الذى للعبرانيين الذى هو الحادى

عشر من الشهر الخامس الذى للمصريين » وقولهم « ولا تعملوا فى عيد الحميم لأن فيه ظهرت لاهوتية المسيح وشهد له الاب فى الصبغة ونزل عليه الروح القدس مثل حمامة وظهر الذى شهد له للقيام إن هذا هو الله الحقيق وابن الله » (رسطب ٦٦)

لقان خميس العهد :

تهتم الكنيسة كذلك بعمل لقان خميس العهد لأن يسوع قد غسل أرجل تلاميذه فى مثل ذلك اليوم . كما أنه قد أمر تعالى بأن يعمل تلاميذه كما عمل « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الاب . . . قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزراً بها . . . فلما كان قد غسل أرجلهم... قال لهم أتفهمون ماقد صنعت بكم. أنتم تدعونى معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنى أنا هو . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١ - ١٥) ويسوع قد أمرنا بهذا حتى يعلمنا التواضع بهذا الدرس العملى البليغ ولذلك تخطىء الطوائف المسيحية التى أبطلت هذه العادة الطيبة التى أمر بها السيد .

ولقان خميس العهد لايكاد يختلف عن لقان الغطاس فى شىء اللهم إلا انه يعمل نهاراً وبعد رفع بخور باكر وصلوات ساعات البسخة أى بعد صلاة الساعة التاسعة. كما أنه يوضع بجانب اللقان طاس ونظامه فى الصلوات كنظام لقان الغطاس مع الفارق فى قراءة الفصول التى تناسب المقام هنا من النبوات والبولس والانجيل .

وفى الانتهاء يبل الكاهن الخادم الشريك الشملة بماء اللقان ويغسل أرجل رئيس الكهنة أولا وينشفها بشملة أخرى وبعدها يأخذ الرئيس الشملة من الكاهن ويبلها ويغسل أرجل الكهنة وينشفها. ثم يغسل الرئيس أو أحد الكهنة أرجل الشمامسة ثم الشعب واحداً فواحداً وذلك مثالا لما صنعه سيدنا له المجد مع تلاميذه . ثم

يعطيهم البركة بيده من الماء الذى فى الطاس ليمسحوا وجوههم وأيديهم ، وفى هذه الأثناء يرتلون سبحوا الله ثم يصلى الكاهن صلاة شكر لله تعالى بعد انتهاء اللقان .

لقان عيد الرسل :

ويقع دائما يوم ٥ من أبيب ويعمل بعد رفع بخور باكر كما فى لقان خميس العهد وترتيبه مثله إلا فى بعض الألحان بما يناسب كذلك باختلاف القراءات بما يوافق المقام وتجد ذلك موضحاً فى كتاب اللقان لكنيستنا القبطية المجيدة فلا داعى لذكر الترتيب هنا فالاعتماد فيه على الكتب الكنسية الخاصة .

ويستعمل الطاس إلى جوار اللقان فى عيد الرسل كما فى لقان خميس العهد لأن الرسل دائماً يتشبهون بالمخلص فاللقان لغسل الأرجل أما الطاس فلكى يعطى منها البركة ليمسحوا وجوههم وأيديهم . وبعد اللقان يصلى الكاهن صلاة شكر لله على نعمه وأفضاله .

ويجب أن نلاحظ أن صلاة اللقان تكون دائما قبل القداس لا بعده وهذا لأن الاغتسال بمياه اللقان إشارة إلى وجوب اغتسالنا من الخطية حتى بذلك نتأهل للتقرب من المائدة الربانية الرهيبة ـ ولنتشبه بالرب الذى غسل أرجل التلاميذ أولا ثم ناولهم من العشاء السرى جسده ودمه الاقدسين .

الفصل التاسع عشر

القسم الرابع

وهو الخورس الغربى بالكنيسة وبهذا القسم يوجد المغطس والمعمودية .

المغطس

وهو عبارة عن غرفة تحت مستوى الأرض وتكون مكعبة الشكل يبلغ ضلعها نحو مترين وتقع فى الناحية الغربية القبلية من الكنيسة ويغطى باستمرار بغطاء كبير من الخشب ويملأ بالماء فى ليلة الغطاس حتى ينزل فيه الشعب (الرجال) لتوال البركة وفيه اشارة وتذكار لعماد السيد المسيح اذ غطس فى نهر الاردن .

المعمودية

وتقع المعمودية فى الجهة البحرية من هذا القسم وهى عبارة عن حجرة قائمة بذاتها لها باب من داخل الكنيسة وآخر من خارجها حتى يدخل الموعظون من الخارج فينالون نعمة المعمودية والمسحة المقدسة ثم يخرجون من الباب الداخلى ويتقدمون للتناول من الأسرار المقدسة .

أما وجوب وضع المعمودية فى هذا الوضع أى فى الجهة البحرية الغربية من الكنيسة فهذا وفق أوامر الرسل الاطهار . فقد ورد فى الدسقولية تحت الباب الـ ٣٥ مانصه ، ويكون من غربى بحرى موضع المعمودية للمصبوغين (للموعوظين) موضع معتزل من الكنيسة ليكون الموعوظون فيه ليجدوا السبيل إلى سماع الكتب المقدسة والمزامير والتسابيح الروحانية التى تقال فى الكنيسة .

ولست أدرى كيف نرى الآن هذا التهاون فى وضع المعمودية فلقد رأيتها فى بعض الكنائس فى الناحية القبلية الشرقية كما رأيتها أخيرا تحت الهياكل فى بادروم إحدى الكنائس ! ولعل الوقت يأتى إذ نرى فيه كل شىء فى الكنيسة فى موضعه الأصيل .

والواقع أن وجود المعمودية فى مؤخرة الكنيسة وفى الناحية البحرية فيه معنى روحانى ، إذ أن المعمودية تضم البعيدين لكى تقربهم من السيد المسيح . وهى على اليسار حتى تحملهم من ناحية اليسار إلى ناحية اليمين!

ويقف فى هذا الخورس جماعة الموعوظين وعلى ذكرهم نتكلم عن رتب المصلين فى الكنيسة .

رتب المصلين

والكنيسة جعلت نظاما دقيقاً وترتيباً لكل الحاضرين فيها فجعلت نظام الخوارس أى الصفوف وهاك بيانها .

صف الباكين

وهم الذين كانوا يقفون فى مدخل الكنيسة نادمين باكين على خطاياهم ، مقدمين التوبة عما فرط منهم وهم يرفعون الأيدى متوسلين للداخلين أن يذكروهم فى سؤالاتهم وطلباتهم التى يرفعونها للسيد الرب .

وهؤلاء الجماعة من التائبين يحسبون أنفسهم غير أهل للدخول الى البيعة وهم دائماً ينفذون ما أمرتهم به الكنيسة من القوانين المختلفة من ضرب مطانيات وأصوام ورياضات روحية مختلفة . وليست هذه العقوبات على سبيل وفاء العدل الالهى كما تعلم الكنيسة الكاثوليكية ، بل على سبيل استدرار مراحم الله و توطيد النفس على الفضائل وإخضاع الجسد الذى تمرد على الروح فهى فى الواقع رياضات وأدوية روحية أكثر منها عقوبات .

صف السامعين

ويسمون أيضاً بالموعوظين وهؤلاء كانوا يحضرون فى الجهة الغربية من الكنيسة بجوار المعمودية وكان يسمح لهم باستماع الكتب المقدسة ولكنهم لا يحضرون القداس بل يخرجون عند قراءة قانون الايمان .

صف الراكعين

وهؤلاء كان يسمح لهم بحضور القداس وكانوا يركعون طول الصلاة حتى الانصراف .

صف المشتركين

وهؤلاء كانوا يشتركون فى الصلاة حتى آخرها وكان المستعدون منهم للمناولة يتناولون .

وعلاوة على هذا النظام ، كان لكل شخص فى الكنيسة المكان الذى يقف فيه مع الفئة التى هو منها فالرجال وحدهم والنساء وحدهم ، والأحداث فى مكانهم ، والشيوخ فى مكانهم ، والعذارى فى مكان ، والسيدات فى مكان آخر . وقد نصت القوانين على هذا النظام فجاء فى (دسق ١٠) مانصه « يجب أن تقفوا فى الكنيسة بهدو وعفاف ويقظة لسماع كلام الرب بانتصاب عظيم — كل واحد فى رتبته كاستحقاقه مثالا للسمائيين :

الأساقفة فى صدر الهيكل كالمدبرين . والقسوس بعدهم كالمعلمين . وارشيديا كون إلى جانبه . والشمامسة بعد القسوس كالخدام . وسائر الشعب بعدهم . الشباب فى موضع وحدهم إن كان ثم موضع يسعهم . والصبيان يقفون عند آبائهم . وكذلك النساء فى موضع وحدهن . المتزوجات ناحية . والبنات ناحية . وإذا لم يكن للبنات موضع فليقفن خلف النساء . وأما العذارى والراهبات والأرامل فليتقدمن كلهن فى وقوفهن وصلواتهن . . والصبيان فليأخذهم عندهم آباؤهم وأمهاتهم » .

وجاء أيضاً فى الباب العاشر من الدسقولية مانصه « ليكن بهذا المثال الواحد فى قبة الشهادة ، فان وجد جالساً خارجاً عن المثال الموضوع له فليردعه ويرفضه الشمامسة فانهم النوتية وينقلونه الى الموضع الذى يليق به » .

مدخل الكنيسة

العادة أن يكون مدخل الكنيسة من الناحية الغربية كما أمر الآباء حتى يكون الداخل فى مقابلة الهيكل المقدس ، ويستحسن أن يكون لهذا المدخل دهليز يكون كمقدمه أو تمهيد لدخول الكنيسة ويوضع فى هذا الدهليز بعض الأيقونات وتحلى بالرسوم وقد تعمل بالفسيفساء كما تجد هذا فى مدخل كنيسة أجيا صوفيا الشهيرة .

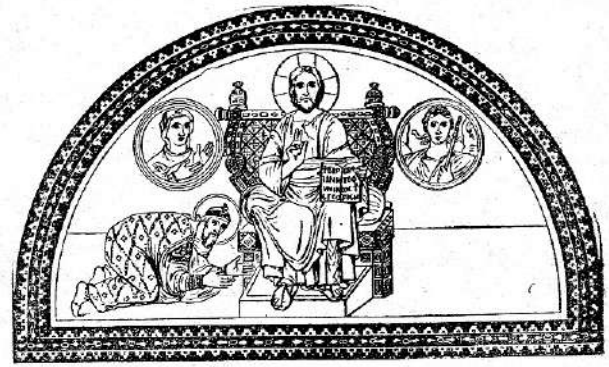

رسم بالفسيفساء فى مدخل كنيسة أجيا صوفيا
وترى فيه السيد المسيح جالسا على عرشه والملك قسطنطين ساجداً تحت قدميه

الفصل العشرون

عظمة الكنيسة القبطية

ما من شك فى أن الكنيسة القبطية تتصف بالعظمة والمجد ، وهى وإن ظهرت أحياناً بمظهر الضعف والركود فليست هذه سوى أعراض وقتية لضعف الرعاية فيها.

على أن هذا الضعف يزول بايجاد اكليروس قوى يستطيع إظهار مجدها وكرامتها ولكن الكنيسة القبطية فى الصميم عميقة وقوية .

آباء الكنيسة

الكنيسة القبطية قوية بآبائها الذين نبغوا وحافظوا على الايمان القويم وتركوا مؤلفات وبحوثا فى العلوم الدينية بحيث ان العالم المسيحى قد استقى من هذه العلوم ولا زالت كتب آباء الكنيسة القبطية وآراؤهم مرجعاً أصيلا يستند إليه رجال الدين فى العالم فآراء اثناسيوس واوريجانوس وكيرلس الكبير وديسقورس وابن كبر وأولاد العسال ، لازالت جديدة قوية فتى قيل بأن احدهم قال كذا كان قوله المرجع الذى لارد له .

كما ترجع عظمة الكنيسة القبطية فى محافظتها على تعاليم السيد المسيح والرسل الأصيلة دون تعديل أو تغيير أو تحريف . ولقد تمسكت بهذه التعاليم حتى اتهمت بالرجعية ، وهى رجعية محببة لأنها ترجع بالأصول الدينية الى موردها الأصيل . فالدين المسيحى قديم وجماله فى عتقه وقدميته وليس هو بموضة يتغير بتقدم السنون.

المحافظة على الطقوس

ولقد حافظت الكنيسة القبطية على طقوس العبادة ورسومها كما تسلمتها منذ القدم حتى ان رجال الكنائس الأخرى العقلاء يغبطونها على هذا فيقول أحدهم : « ان الكنيسة القبطية هى أعظم أثر للمسيحية الأصلية » وقال آخر عن الكنيسة يوصفها الشعب « إنها الهيئة الوحيدة التى تمثل أكرم أمة عريقة » وقال العلامة بتلر

« إن الأقباط لاتماثلهم طائفة أخرى فى الاحتفاظ بالترتيب الكنسى » . وتقول السيدة بتشر فى كتابها ص ٢٨ « أما الكنيسة القبطية التى هكذا أسسها مار مرقس فقد حافظت الى الآن على نظاماتها وطقوسها الأصلية أكثر مما حافظت أية كنيسة أخرى من عهد مؤسسها الى هذا اليوم فهى إذاً أقل الكنائس اختلافاً عما كانت عليه حين نشأتها وفيها بقيت سلسلة المراتب الكهنوتية الثلاث متصلة بغير انقطاع الى يومنا هذا وهى الأسقفية والقسيسية والشموسية » وقالت فى صفحة ١٢٢ « وكنيسة قرطاجنة التى مر بك وصفها قد زالت من الأرض واختفى منها العين والأثر . أما الكنيسة القبطية فلم تزل باقية لليوم ولم تختلف فى شىء عن الكنيسة الأصلية بل هى رسم جوهرها وصورة مجدها » .

كثرة الشهداء

وتظهر عظمة الكنيسة القبطية فى كثرة شهدائها الأبطال الأبرار الذين هانت عليهم أموالهم وأجسادهم ولم تهن عليهم عقيدتهم . بل بذلوا دماءهم حباً لسيدهم وكنيستهم وقال فى ذلك المستر بتلر الانجليزى « إن نظام هذه الكنيسة يمتاز عن نظام الكنائس الأخرى شرفاً ورفعة لتجرده عن كل مايشين ويهين ، وانها أسمى الكنائس ولو أنها وصلت الآن إلى درجة من الضعف يأسف عليها محبوها »

روح الرجاء

والذى يرفع الكنيسة القبطية فى أعين العقلاء هو أنها قاست من الاضطهادات المريعة مايكفى لاضمحلال الممالك ، وعانت من العذابات والمشقات مالم يقع لأى كنيسة أخرى فى العالم . ولكنها رغم هذا لم تزل حية نامية.

وقد ساعدها على الحياة الطويلة هذه ، روح الرجاء والأمل اللذين نشآ معها وثقتها الوطيدة فى مخلصها وفاديها . وإذا أنت طفت الكنائس المصرية ودخلت أفقر وأحقر كنيسة من الكنائس القبطية رأيت علامات الرجاء والأمل تبدو على جدرانها فلا تشاهد فيها صورة تشير إلى جهنم أو عذاب مقبل ، بل قلما وجدت فيها رسم

جهنمة أو هيكل عظام عار مما يشير الى آلام وسقام (١) ولكن ترى شهداءها تبتسم صورهم المرسومة على الجدران ، كأن ماقاسوه من العذابات والاضطهادات لم يكن شيئاً مذكوراً ، بل أصبح نسياً منسيا . وهناك تشاهد القديسين والأبطال مصورين بشكل يدل على أنهم قتلوا ثعبانا أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون أن يجدوا فى قتله عناء يذكر . أما أحزانهم وأوجاعهم فليس لها أثر فى تلك الرسوم ، كما لاتجد صورة تمثل الخاطىء بعد موته مما تشمئز منه النفس وتنكمش لمرآه الروح ، فهؤلاء الأتقياء الأبرار الذين أسسوا الكنيسة القبطية بدمائهم كانوا يطرحون أنفسهم بين يدى الله وهم مسرورون فرحون كما أنهم كانوا يطلبون رحمة منه على الذين يضطهدونهم ويذيقونهم الخسف والعذاب ! » .

وذكرت السيدة بتشر تصف الاضطهاد الذى أوقعه دقلديانوس على مسيحى مصر قالت : « هنا انتهت مدة العشر سنوات التى كانت ملأى بمصائب وبلايا لم تذق مثلها كنيسة مسيحية فى العالم . . فانه منذ أن ظهرت الديانة المسيحية فى عالم الوجود لم تر عين ولم تسمع أذن باضطهاد بشع فظيع مثل الاضطهاد الذى وصفناه لك وهو الذى من وقته والمسيحيون المصريون يؤرخون تاريخهم الخاص به وهم يذكرونه الآن والقلب مفعم بعوامل الأسف والتفجع على تلك الأزمنة القاسية وجعلوا له تاريخا هو تاريخ الشهداء يبدأ من سنة ٢٨٤ م أول ملك دقلديانوس »

قدمية الكنيسة

يضاف الى كل هذا أن الكنيسة القبطية تشتهر بقدميتها ، إذ تأسست فى القرن الأول المسيحى على يد القديس مرقس الرسول الذى استشهد فى مدينة الاسكندرية فى سنة ٦٨ م . فالكنيسة القبطية من ناحية قدميتها تعتبر مرجعا أصيلا للديانة المسيحية وطقوسها وحتى نظام البناء فيها قد أخذت عنه كنائس الغرب . ويؤيد هذه الحقيقة العلامة بتلر فى كتابه عن الكنائس المصرية القديمة قال « ولا شك ان

(١) الواقع أن مثل هذا لا يوجد قطعا وإن وجد فى كنيسة ما فهو خطأ ولا يعول عليه .

المعمارى اليونانى الشهيد انثيموس الذى بنى كنيسة اجيا صوفيا بالقسطنطينية قد نقل كثيراً عن الهندسة المعمارية المصرية» وقال أيضا « ولا يبعد أن يكون اتجاه الكنائس بانجلترا الى الشرق منقولا عن الكنائس المصرية منذ القرون الوسطى » . وقال : « وطريقة جمع عدة كنائس بداخل سور واحد يشبهها ما يوجد بايرلندا من مبانى الرهبنة القديمة . وكذلك استعمال الأسقف العادية بدل القبوات » . وذكر المستر وارن فى كتاب له : « ان سبعة من الرهبان المصريين مدفونون بجهة ديزرت اوليده بايرلندا وأهلها لا زالوا يتضرعون ويستغيثون ويتشفعون بهم ! ! ويقول ليدوتش فى كتاب عن آثار ايرلندا : ان جالية مصرية كانت متوطنة فى جزيرة ليرنس بالقرب من الساحل الجنوبى لفرنسا . وان شكل الكنيسة المصرية هو المستعمل فى مدينة غلاستنبرى بانجلترا »

ومن الملاحظ أن رهبان بنجول وسان كولومبيا وجونجبيل وغيرهم اتخذوا قانون القديس باسيليوس . أما كبار علماء الآثار ومنهم السيد قوطن والسيد سبيدلمان والمستر كمدن والمستر سلدن فانهم لما سئلوا فى هذا الموضوع كتبوا شهادة أعلنوا فيها أن قوانين الرهبنة المصرية هى وحدها التى كانت مستعملة قبل مجىء القديس اغسطينوس عام ٥٠٧ م وعلاوة على ذلك فما لاشك فيه ان القديس اغسطينوس أخذ عن القديس انطونيوس . كما أخذ القديس باسيليوس عن القديس باخوميوس .

كل هذا يبين لك عظمة الكنيسة القبطية لافى أعين أبنائها فحسب ، بل فى أعين الأجانب أيضا . ولا غرابة فقد وعد الله مصر بالبركة وتنبأ أشعياء النبى أن يكون لله مذبح فى أرض مصر .

الفصل الحادى والعشرون

تسمية الكنائس

تعودت الكنائس الرسولية - نظراً - لتعدد مبانى الكنائس فى ابرشياتها أن تطلق اسماً يكون علماً لكل كنيسة فتقول كنيسة السيدة العذراء ، وكنيسة مار بطرس ، وكنيسة الانبا انطونيوس ، وكنيسة مار جرجس ، وكنيسة السيدة دميانة وغير هذه من اسماء القديسين والقديسات والشهداء والملائكة .

وتسمى الكنائس أيضاً على اسم الحوادث الالهية ككنيسة القيامة وكنيسة التجلى وكنيسة الصعود وكنيسة ابانا الذى ولقد يعترض ذوو المذاهب البروتستانتية انه لا يصح ولا يناسب تسمية الكنائس بمثل هذه الاسماء لان الكنيسة لله لا يدعى اسم آخر عليها . . . وهنا نعجب من هذه المغالطة المردودة فتسمية الكنائس بأسماء القديسين ليس معناه ان العبادة تقام فيها للقديس بل بالطبع لله وحده . وتسمية الكنائس مناسب لهذه الاسباب

أولا : لتمييز الكنائس بعضها عن بعض خصوصاً لما انتشرت وأصبح فى كثير من البلاد أكثر من كنيسة ، فلسهولة التفاهم عنها سميت بأسماء

ثانيا : احياء لذكرى قديس من القديسين . . . قال رب المجد عن المرأة التى سكبت قارورة طيب على قدميه « حيثما كرز بالانجيل يكرز بما فعلته هذه تذكاراً لها ، فهؤلاء الذين سفكوا لا قارورة طيب انما دماءهم أعز ما يمتلكونه فى سبيل اخلاصهم للسيد المسيح ، جعلت الكنيسة الجامعة على سبيل التقدير لهؤلاء الابطال وعلى سبيل تقدم اسماء عظيمة للشعب كقدوة لهم فى سبيل التفانى والولاء للمخلص فاذا ما ذكر أمامنا لفظ كنيسة مار جرجس تذكرنا هذا البطل القديس الثابت على ايمانه الشهيد الشجاع مار جرجس .

ثالثا : إن المؤمنين الاولين اعتادوا أن يقيموا مذبحاً فوق المكان الذى استشهد

فيه قديس من القديسيين ويبنون كنيسة فوق هذا المكان ويطلق اسم هذا القديس الشهيد عليها تخليداً لذكراه . وأى غضاضة فى هذا العمل إلا ان الحكومات المتمدنة تسمى شوارعها وميادينها ومؤسساتها بأسماء أبطالها فى الجهاد فى سبيل الوطن، هكذا الكنيسة تخلد أسماء أولئك الذين جاهدوا فى سبيل الوطن الاسمى (السماء) . . . اليس الاعتراض على ذكر أسماء هؤلاء الشهداء على الكنائس فيه غبن وانكار لفضل الأفاضل . . وإن كان فى ذكر اسمائهم تكريم لهم ، فأى جرم فى هـذا السنا نكرمهم لأنهم أكرموا الله أولا ليس من مالهم أو مقتناهم بل من دمائهم أيضاً . ونحن إذ نكرمهم ، نكرم السيد نفسه الذى قال « من يكرمكم يكرمنى »

رابعاً : ليس معنى إطلاق أسماء القديسين على الكنائس اننا نعبـدهم ونترك عبادة الله فليس من عاقل يفهم فينا هذا الفهم انما معنى إطلاق اسم القديس على الكنيسة أننا نقصد كنيسة الله التى على اسم فلان من القديسين وكأنما ذلك القديس قد سبب بناء هذه الكنيسة وأن هذه رغبته وأنه موجود بروحه يعبد فيها مع العابدين .

وفى الكتاب المقدس نفسه أمثلة لهذه التسمية فقد قيل هيكل سليمان . . . وشريعة موسى . . . وتسبحه موسى . . . وتسبحة الخروف . . . وكلام أرميا . . . وغير هذا كثير مع انه معروف انه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ٢ بط : ٢١ وكذلك ذكرت الكنائس باسماء فقال بولس الرسول « وهذه الرسالة تقرأ أيضاً فى كنيسة اللاودكيين كو ٤ : ١٥و١٦ وأيضاً « . . أما كنيسة التسالونيكيين اتس ١ : ١ »

ويقول السيد الرب لصاحب الجليان أكتب إلى ملاك كنيسة أفسس وكنيسة سميرنا رؤ ٢ : ١و٨

خامساً : إن الله تعالى قد سمى ذاته بأسماء قديسيه فقال أنا هو إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب إله أحياء وليس إله أموات . . . فان كان تعالى قد رضى أن يسمى إنه ابراهيم ألا نقول كنيسة السيدة العذراء وكنيسة بولس الرسول!! فلا يتجرأ أحد إذاً على أن يحرم ما أجازه الله .

الفصل الثانى والعشرون

القـــداس

النبوات عنه

نهاية عهد :

من المعلوم أن الكهنوت اللاوى قد انتهى بمجىء السيد المسيح إذ صار رئيسا لكهنوت أفضل ، لأن بالكهنوت اللاوى لم يتم الخلاص وفى هذا يقول بولس الرسول « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال . . . ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا يقال على رتبة هارون » عب ٧ : ١١ . إذاً قد انتهى العهد القديم بذبائحه الدموية التى كانت ترمز إلى ذبيحة السيد المسيح على الصليب وأتى نظام جديد وعهد جديد رمزت اليه ذبيحة ملكى صادق وفى هذا يقول الرسول « الأشياء العتيقة قد مضت ، هو ذا الكل قد صار جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ وقال أيضاً « لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه» عب ١٣ : ١٠ والسيد المسيح بين أنه قد حل عهد جديد فيه يكمل الخلاص للجميع والعبادة للجميع فقد قال للمرأة السامرية « يا امرأة صدقينى انه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب ...ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق يو ٤ : ٢١و٢٢

بداية عهد :

وكهنوت السيد المسيح جاء بقسم ووعد إذ قال السيد الرب « أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن الى الأبد على طقس ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤) وليس هو بكاهن فقط بل رئيس الكهنة الأعظم «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات »

فهو اذاً الرئيس الأعلى على طقس ملكى صادق ، رئيس لكهنة كثيرين يقدمون الذبيحة حسب هذا الطقس أى بالخبز والخمر .

ويتنبأ أشعياء النبى عن مذبح جديد فى بلاد مصر فيقول « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها . . . فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به » اش ١٩ : ١٩ و ٢١ .

ومن الواضح أن هذا المذبح لا يمكن أن يكون مذبح اليهود لأنه كان فى أورشليم وحدها ولا تقدم الذبائح خارجا عنها . . . فماذا يكون اذاً هذا المذبح . أهو مذبح الوثنيين وهو مرفوض لدى الله ، إنه لاشك مذبح المسيح الذى يقدم عليه كهنة العهد الجديد الذبائح على طقس ملكى صادق . ويؤيد هذا نبوة ملاخى النبى التى يقول فيها « ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمى عظيم بين الأمم قال رب الجنود » ملا ١ : ١١

وما يقوله أرميا النبى « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب » ار ٣١ : ٣١ ، عب ٨ : ٨

إذاً العهد الجديد فيه مذبح وفيه ذبيحة وفيه الكهنوت .

والفصح نفسه كان يرمز الى ذبيحة القداس الالهى ويشير اليه اشارة واضحة وفيه تظهر ظل الأمور العتيدة أن تكون ،اشارة واضحة . فقد جاء فى نظام الفصح أيام السيد المسيح وقبله أنهم بعدما يأكلون الخروف يحمل رب العائلة قرصة فطير ويقسمها قطعاً على عددهم ويعطى كل واحد قسما قائلا « هذا خبز الضيق الذى اكله آباؤنا فى مصر . . . يأخذ كأساً مملوءة خمراً ويقول مبارك أنت أيها الرب الذى

خلقت ثمرة الكرم » ثم يشرب منها ويناولها للذى إلى جواره وهذا يشرب ويعطيها لمن جاوره وهكذا حتى يشربوا جميعاً . اليس فى هذا صورة واضحة لسر التناول الاقدسى!!

دوام ذبيحة القداس :

ولما أتى السيد المسيح تمت النبوات ورسم السر الاقدس وأمر بعمله على الدوام وستظل ذبيحة القداس دائمة ابداً حتى مجىء السيد المسيح . « فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يجىء » ١ كو ١١ : ٢٦

وجاء فى (ار ٣٣ : ١٨) « ولا ينقطع للكهنة اللاويين انسان من أمامى يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهىء ذبيحة كل الأيام »

والسيد ذاته يوضح أن الذبيحة والمذبح من مستلزمات العهد الجديد . قال إذا قدمت قربانك على المذبح . . . مت ٥ : ٢٣ وهذا دليل قاطع على ذبيحة القداس الالهى ودوام هذه الذبيحة التى تنكرها بعض الشيع .

الفصل الثالث والعشرون

ليـــلة الفصح

العشاء السرى

كان اليوم يوم الخميس الموافق ١٣ نيسان وما بقى على الفصح اليهودى سوى أربع وعشرون ساعة . فشرع رب المجد فى إعداد الفصح قبل فصح اليهود ، فى تلك الليلة المباركة فى مساء الخميس .

وفى هذه الليلة المشهودة التى كان فيها العالم يعد الموت لابن الله كان هو يعد للعالم الحياة ! ! لقد كانوا يشتغلون فى تجهيز السياط والحبال والصليب ولكنه كان يشتغل فى تقديم المائدة الربانية ! ! وإذ كانو يفكرون فى ذبحه كان هو يعد ذبيحة للوفاء عما ارتكب العالم من خطايا حتى عن خطية صالبيه نفسها التى لا تعادلها خطية !!

وسأله جماعة من تلاميذه يارب ، أين تريد أن نعد لك الفصح وربما كان يهوذا الأسخريوطى أحد الذين سألوه هذا السؤال ومرماه من هذا أن يعرف المكان حتى يتمم جريمته أما التلاميذ الآخرون فقد سألوه عن بساطة وطهارة قلب ليقوموا بواجبهم فأرسل السيد اثنين من تلاميذه وهما بطرس ويوحنا كما هو واضح من رواية لوقا الانجيلى .

ويغلب أن يكون المكان الذى اختاره السيد هو بيت مرقس وهو المكان الذى اختفى فيه التلاميذ بعد موت معلمهم وفيه حل الروح القدس ويقول المؤرخون إنه فى هذا المكان شيدت أول كنيسة فى أورشليم ومكانها الآن كنيسة القديس مرقس وبها مطرانية السريان الأرثوذكس ، وقد رأيت كتابة على حجر فى بناء هذه الكنيسة هذا نصها « هنا بيت مريم أم يوحنا المدعو مرقس وكرز بيعة من الرسل القديسين على اسم والدة الاله مريم من بعد صعود ربنا يسوع المسيح إلى

السماء وبنى ثانية من بعد خراب أورشليم بأيدى تيطس الملك سنة ٧٣ مسيحية

ونلاحظ أن رب المجد عمل الفصح فى أورشليم وهذا حسب الشريعة لأنه ما كان يمكن عمله خارجاً عنها (راجع تث ١٦) فكان بيت مرقس هو أنسب مكان . فقام بطرس ويوحنا بالمهمة خير قيام إذ قابلا مرقس الرسول وعرفاه من العلامة التى أعطاها لهم رب المجد وهى ، انسان حاملا جرة ماء فأخذهما إلى داره ونلاحظ أن قول البشير « فعمل التلاميذ الفصح حسبما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح » مت ٢٦ : ١٩ - أى أن بطرس ويوحنا ذبحا خروف الفصح وشوياه ومن ثم أتى يسوع والتلاميذ واتكأوا ليأكلوا الفصح

كانت المائدة التى جلسوا اليها بشكل ثلاث موائد ضمت إلى بعضها على هيئة حرف (U) وهذه كانت عادة اليهود فى متكآتهم وكان المتكئون يجلسون فى الخارج بينما يكون رب الدار والخدم فى الداخل ليخدموا الضيوف

العشاء الربانى

هل أكل رب المجد خروف الفصح

يرى القديس يوحنا فم الذهب واسحق السريانى أن رب المجد لم يأكل خروف الفصح ليلة العشاء السرى ، بل أكل أكلا إعتياديا ولكن جمهرة العلماء يقولون بأن

الرب أكل أولا الخروف حتى يكمل ناموس موسى لذلك أرسل اثنين من تلاميذه ليعداه، وبعد أن أكل الفصح اتزر وغسل أرجل التلاميذ ثم أخذ الخبز والكأس وبارك وناولهم وفى ذلك يقول القديس يعقوب السروجى فى أحد صلواته « تعال إلى هنا يا موسى تعال وانظر حمل اللاهوت ما سكا وآكلا خروف الفصح مع تلاميذه . تعال يا مصور الأسرار العظيم أنظر صورك التى تممها ابن الله الذى مثلته تعال أنظر الخروف وشاهد وتعجب ممن يأكله وأكثر من التسبيح لأن أسرار نبوتك قد كملت . تمم ربنا العشاء المفعم آلاما وبدأ يوزع جسده بيديه على بنى سره أكلوا الخروف وأنهوا أسرار العتيقة وشرعوا يسلكون فى الطريق الجديدة المملوءة نوراً . لم يدع جسد الخروف جسداً لكن فصحاً واسم جسد حفظه للخبز الذى هو جسده عمل مقتضيات العيد إلى أن انتهى العشاء حتى لا ينقص شيئاً من الناموس . سار بالطريق التى نهجها موسى النبى وكملها ليعلم العالم أنه سيد موسى العظيم »

لقد كان العشاء ثلاثة فى تلك الليلة . الأول الفصح اليهودى وفى أثناء هذا العشاء قال رب المجد إن واحداً منكم يسلمنى فسأله كل واحد منهم هل أنا يا رب . وهنا نعجب لأن كل واحد منهم يعرف ذاته وما فى نوايا قلبه من حب للسيد المسيح ولكنهم خافوا على أنفسهم أن يكونوا قد تغيروا وهم لا يعلمون لأنهم يعرفون صدق السيد وقدرته على فحص القلوب والضمائر فكذبوا أنفسهم وصدقوا المسيح وهكذا ليكن الله صادقاً وكل انسان كاذباً . فأعلن السيد أن الذى يغمس معى فى الصحفة هو يسلمنى وكانت العادة عند اليهود أن يأكل اثنان أو ثلاثة من طبق واحد ولعل يهوذا قد تقرب من السيد المسيح فى هذه الليلة حتى يخفى ما هو فاعله . . . ومع كل هذا لم يتبينوا من هو مسلم السيد . وقد قصد رب المجد بهذا الابهام « أولا » حتى لا يتألموا ويدخلهم الشك أو الغيظ من يهوذا قبل التناول « وثانياً » لكى ينبه يهوذا ويعطيه فرصة للتوبة ! !

ثم كان العشاء الثانى كعادة اليهود لأن الفصح كان يعمل لكل بيت بحيث لا يقل عن ١٠ ولا يزيد عن ١٦ فلم يكن الخروف الحولى بكاف لمثل هذا العدد لذلك كانوا

يعملون عشاء ثانيا مكملا للأول ثم من بعد هذا ائتزر السيد بمنشفة وغسل أرجل تلاميذه ولما رجعوا إلى المائدة أخذ السيد الخبز وشكر وباركه وقدس وكسر وأعطى التلاميذ قائلا « خذوا كلوا هذا هو جسدى » وكان عدد الكسر ١٣ له ولتلاميذه جميعاً . ثم أخذ الكأس وشكر وباركه وقدسه وذاق وأعطاهم قائلا « اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »

وفى هذه الاثناء قال إن واحدا منكم يسلمنى فأومأ بطرس إلى يوحنا أن يسأل السيد فأخبره بأن من يعطيه الخبز هو فأعطى يهوذا وكانت هذه العلامة ليوحنا وحده ولكن لما سأل يهوذا بعد ذلك هل أنا يا معلم ؟ قال له أنت قلت ويظهر أن السيد قال ذلك ليهوذا سراً حتى لا يهيج غضب التلاميذ عليه وحتى لا يشنع رب المجد بهذا الخائن . ولكى يحركه إلى التوبة وحينئذ خرج يهوذا والتلاميذ حيارى غير عارفين أنه سيسلم سيده بدليل أن رب المجد حينما قال ما تفعله افعله بأكثر سرعة أنهم ظنوا أن يسوع إنما يخاطبه من أجل شئون العيد ! !

هل أكل رب المجد من السر

ومما لا شك فيه أن السيد له المجد أكل من الخبز وشرب من الكأس وفى ذلك يقول القديس افرآم السريانى « أكلوا من جسده وهو أكل منه وشربوا من دمه وهو شرب منه أيضاً . أكل أولا ثم أطعمهم وشرب من دمه ثم سقاهم منه »

هل تناول يهوذا

يقول البعض إن اللقمة التى غمسها الرب فى الصحفة ثم أعطاها ليهوذا كانت أكلا اعتيادياً وقبل تقديم الأسرار ويوافق هيلاريوس على هذا الرأى ويرون أن ذلك يتفق مع رواية متى ومرقس وأن يهوذا قبل التناول خرج وأن الذى تناول هم الأحد عشر .

ولكن هذا الرأى لا يظهر فى أى إنجيل بوضوح وحتى رواية متى ومرقس لا يظهر

منهما أن يهوذا قد خرج قبل التناول . لذلك فان أغلب العلماء يرون أن يهوذا حضر الأسرار الالهية وتناول منها والدليل على هذا الرأى ما جاء فى انجيل معلمنا لوقا البشير من أنه لما كانت الساعة أتى يسوع مع التلاميذ وأكل معهم الفصح المأمور به لشعب اسرائيل ثم قام فغسل أقدامهم ورجع إلى العشاء السرى فقدس جسده ودمه وحينئذ قال لهم هوذا يد الذى يسلمنى معى على المائدة ، وبذكر القديس يوحنا أن السيد مد يده باللقمة وغمسها وقدمها ليهوذا وأن هذه اللقمة كانت جسده المقدس على رأى فم الذهب وديوناسيوس قاضى أثينا والقديس أغسطينوس ، ولذلك يرى البعض أن سبب بل اللقمة هى لكى تعود إلى حالتها الأولى وعلى هذا يقول يعقوب السروجى فى ميمره ٦٨ «إن العارف بكل شىء أعطى يهوذا خبزاً مبلولا لأنه لم يستحق الجسد المقدس كتلميذ ، فالخبز المبلول ليس هو قرباناً بل خبزاً إذ لا أحد يبل الخبز المقدس حينما يتناول فموسى لم يبل خبز الوجوه على المائدة إذ لو كان له لما كان دخل المحراب . . »

وعلى كل فلماذا لا يكون يهوذا قد تناول فعلا من الجسد المقدس والدم الكريم وهما يعملان فى متناولها حسب استعداده فهما نور ونار . نور للأتقياء ونار للاثمة والأردياء .

ومن بعد العشاء انصرف السيد المسيح مع الاحد عشر إلى بستان جبل الزيتون لكى يجاهد فى احتمال خطايا بنى الانسان . . ! !

الفصل الرابع والعشرون

الصلاة عموما

وقبل أن نبدأ فى الكلام عن صلاة القداس يجدر بنا أن نبحث فى الصلاة عامة وفى ماهيتها وضرورتها

معروف أن الله سبحانه وتعالى خالق وأن الانسان مخلوق فتكون علاقة المخلوق بالخالق ، هى علاقة المحسن بالمحسن اليه ، فهى علاقة الشكر من المخلوق لخالقه . ثم أن الخالق جواد والانسان محتاج إلى جوده فتكون علاقة الانسان بالله تعالى طلب النعمة والجود ، ومعنى هذا أن الانسان المخلوق مدين بطبعه لله بالشكر ومحتاج إلى التوسلات والطلبات . فتكون الصلاة نوعان صلاة الحمد والشكر وصلاة التوسل

فالصلاة إذاً هى رفع القلب لله بالتوسل والشكر إن

وكما تكون الصلاة من أجل المصلى نفسه كذلك تكون من أجل الآخرين وتسمى الصلاة الشفاعية كصلاة موسى من أجل الشعب ومنها صلاته « اغفر لهذا الشعب والا فامح اسمى من كتابك الذى كتبت »

شروط الصلاة

يجب أن تكون الصلاة بايمان وثقة والا كانت تجديفاً ورياء ، ويظهر الايمان فى صلاة ايليا النبى حين طلب من الله ألا تمطر السماء مطراً وعلى هذا الايمان قال لآخاب الملك « حى هو الرب اله اسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى »

وتحتاج الصلاة إلى قوة ومصارعة فى بعض الأحيان كما صارع يعقوب مع ملاك العهد ونال البركة وقيل عنه إنه صارع مع الله والناس وغلب . أو تكون بلجاجة كما علمنا رب المجد فى (لو ١١) عن ذلك الصديق الذى ذهب إلى صديقه فى نصف الليل وسأله ثلاثة أرغفة وألح عليه فى الطلب إذ يقول « أقول لكم وإن كان لا يقوم

ويعطيه لكونه صديقه ، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدرما يحتاج . وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا . . . »

وتكون الطلبة بتذلل مثل طلبة الكنعانية التى حينما قال لها رب المجد ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، أنها قالت نعم ياسيدى والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يشقط من مائدة أربابها » فقبل السيد طلبتها . ومثل طلبة العشار إذ قال « اللهم ارحمنى فانى خاطىء » وتكون بالدموع مثل صلاة حزقيال الملك اذ علم أنه سيموت فصلى للسيد الرب وبكى بكاء عظيما فاستجاب الرب طلبته وشفاه وزاد على أيامه خمس عشرة سنة

ويجب أن يكون موضوع الطلب فيما هو للخير ، ولا يكون للطمع أو الشهوة أو العظمة أو الترفه أو الايذاء ، لذلك يقول يعقوب الرسول . إنكم تسألون ولا تنالون لأنكم تسألون رديئاً يع ٤ : ٣

ويجب أن تقدم حاجات النفس على حاجات الجسد . . . إذ أمرنا السيد أن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم

آداب الصلاة

وقد ورد تحت الباب الرابع عشر من كتاب المجموع الصفوى جملة صفات للصلاة أو بالأحرى هى آداب الصلاة منها

أولا : الوقوف على القدمين لقول ربنا : وإذا قمتم تصلون فقولوا . . . وقول داود : لأقف أمامك بالغداة وترانى

ثانيا : التوجه بالوجه إلى الشرق لأنها الجهة التى قال المسيح له المجد إنه يظهر منها فى مجيئه الثانى ولقول داود النبى : رتلوا للرب إذ استوى على سماء السماء اسمع صوته من المشرق صوتا عزيزاً . فالى هذه الجهة التى سمع منها صوته ومنها مجيئه أوجبت الشريعة أن يوجه إليها المصلى وجهه . ويلزم ذلك ترك التلفت . فإن الله أمر بنى اسرائيل بهذا يوم الخطاب

ثالثا : الرشم بالأصبع مثال الصليب وأوقات الرسم هى أول الصلاة وعند ما يرد ذكر الصليب

رابعاً : الركوع والسجود لقول ربنا : مكتوب للرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد . والانجيل أيضاً يشهد أنه فى صلاته ليلة التألم خر على وجهه وجثا على ركبتيه .

أما أوقات السجود وعدد مراته فالمرتب فى بيعتنا هو أن المصلى يسجد عند ما يرد ذكر السجود لله تعالى فى الصلاة ويبتدىء بسجدة واحدة أو ثلاث سجدات وكذلك فى آخر كل مزمور وتسبحه .

ومن الناس من يجعل بعض ذلك سجوداً وبعضه ركوعا ومنهم من يزيد على هذا وذاك بحسب قوتهم ونشاطهم

وهناك أوقات لا يجوز فيها السجود إلى الأرض وهى ١ ـ أيام الآحاد ٢ ـ أيام الأعياد السيدية ٣ ـ وبعد تناول القربان

ويستحب فى الصلاة رفع الأيدى مبسوطة كقول بولس الرسول لتيموثاؤس « وأنا أحب أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيديهم نقية بلا غضب ولا فكر » ولقول داود النبى « ارفعوا ايديكم فى الليالى إلى القدس وباركوا الرب » لذلك يذكر العلامة ترتليانوس الذى اشتهر فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث أن عادة المسيحيين أن يرفعوا أيديهم ويبسطونها أثناء الصلاة تشبهاً برب المجد وهو على الصليب

ورفع العينين الى العلو كما عمل سيدنا له المجد وقت اقامة لعازر . ولقول النبى « إليك رفعت عينى يا ساكن السموات » مز ١٢٣

وتدق الصدور عند الاستغفار ندما على ما فرط من المعاصى وأسفاً على مافات من العمر بغير عمل صالح كالعشار الذى كان يضرب على صدره فى صلاته الممدوحة والبكاء لمن يمكنه كداود والأنبياء والقديسين

ويجب أن نصلى أبانا الذى فى السموات فى كل صلاة كما ورد فى الانجيل والقوانين ولتتل الأمانه الجامعة فى كل صلاة

ولتكن أكثر الصلوات فى كل يوم ليلا ونهاراً من المزامير لما فيها من الشكر والتسبيح والتضرع . .

مقام الصلاة

وكما تجوز الصلاة فى البيت أو فى أى مكان مناسب تكون بالأولى والأنسب فى الكنيسة إذ هى المكان المكرس المقدس والمخصص للصلاة

ولقد وعد الله تعالى باستجابة الصلوات والطلبات فى الهيكل إذ يخبرنا سفر أخبار الأيام أن سليمان قد جثا على ركبتيه فى الهيكل وبسط يديه نحو السماء أمام السيد الرب ورفع صلاة حركه فيها الروح القدس . . . وجاء فى هذه الصلاة تضرعه « وإن انكسر شعبك اسرائيل أمام العدو . . . ثم رجعوا واعترفوا باسمك وتضرعوا أمامك فى هذا البيت فاسمع أنت من السماء . . . إذا صار فى الأرض جوع . . . وبأ . . . يرقان . . . فى كل ضربة وفى كل مرض فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى انسان . . الذين يعرفون كل واحد ضربته ووجعه فيبسط يديه نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء . » ٢ أى ٦

فكان جواب السيد الرب على ابتهال سليمان هذا « الآن عينان تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان » ٢ اى ٧ : ١٥ فهذه آيات صريحة ترينا خطأ الذين لا يحضرون الصلاة بالكنيسة بحجة أن الصلاة جائزة فى كل مكان ، وترينا أن الصلاة فى الكنيسة لها قيمتها أمام الله

والصلاة فى الكنيسة ما نسميه الصلاة الجمهورية أى أن فيها يجتمع جمهور المؤمنين ويرفعون الأشواق والتضرعات نحو الله . ويذكر لنا سفر الأعمال أن الكنيسة كانت تصلى من أجل بطرس واستجاب الله تضرعها . ويوبخ فم الذهب أولئك الذين يستكفون بالصلاة فى بيوتهم دون الكنيسة بقوله « إن الصلاة فى

البيت وإن كانت محمودة لا تكسبهم شركة الشعب الذى يطلب من أجلهم ولا يكون لهم فى منازلهم من يحثهم على العبادة كما يصير فى بيت الله حيث تتفق وتشترك أرواح المؤمنين مع أصوات الكهنة ويرتبط الجميع بالمودة والصلح والسلام فطلبات الشعب هذه وان كانت ضعيفة من حيث هى تتقوى حينئذ للغاية بواسطة اتفاق الجمهور واتحادهم معاً فتصعد معاً إلى السماء قارعة باب الرحمة »

ولا شك أن صلاة الجموع أهم من صلاة الفرد وأقوى إذ تتجاوب أصداؤها فى السماء وتقوى بعضها بعضاً وتصل إلى عرش الله الذى يتحنن على العبيد . قال رب المجد « ان اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فأنا أكون فى وسطهم » وخصوصاً إذا اتفقت طلبة الجماعة لاشك أنها تستجاب قال رب المجد أيضاً « ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما » مت ١٨ : ١٨

ولقد ذكر لنا القديس كبريانوس الشهيد أنه اضطهد وقبض عليه فاغتمت الكنيسة واجتمعوا للصلاة من أجله ولكن الله لم يستجبهم ، فأرسلوا إلى القديس طالبين أن يعاونهم فى الصلاة . فصلى من أجلهم فقال له الرب إنه لم يستجب لصلاتهم لأن طلباتهم مختلفة ونواياهم متباينة وليس بينهم محبة ولا اتفاق فأخبرهم القديس أن يجتمعوا للصلاة باتفاق ومحبة ففعلوا ذلك فاستجاب الرب لهم

الصلاة بالمزامير

وكما يجوز لنا أن نصلى صلاة ارتجالية وطلبات خصوصية كذلك يجب أن نصلى صلوات المزامير لما لها من روحانية عالية وتأثير فى النفس فهى أجزل ما يمكن أن يتصوره الانسان من معانى روحانية وتضرعات خشوعية عميقة ، وهى علاج للنفس البشرية وقوة خشوعية فائقة لاستجلاب مراحم الله

وهذه المزامير كلها من تصنيف داود النبى بالروح القدس على رأى بعضهم ومنهم القديس فم الذهب والقديس أغسطينوس والقديس تاودريطوس . أو أن داود كتب أغلبها وكتب باقيها آخرون كموسى النبى وسليمان وأساف ويديثون وقورح على رأى القديس اثناسيوس الرسولى والقديس ايرينيموس على أنى أميل إلى الرأى

الأول أى أن داود هو كاتب المزامير بكليتها وإن كان قد أعطى بعضها لقورح أو أساف أو غيره لكى يرتلوها فقط .

وإن ادعى البعض أن المزامير لم يكتبها داود كلها بدليل ما ورد فيها من حوادث لم تكن فى زمانه فالرد على ذلك أن داود كتب أموراً ماضية كعبور اسرائيل البحر الأحمر وهذا على سبيل الذكرى ، وكتب عن أمور مستقبلة مثل سبى اسرائيل وصلب السيد المسيح وهذا على سبيل النبوة

والمزامير كتبها داود النبى بالروح القدس وكلها تحدثنا عن مشاعر النفس البشرية المتصلة بالله فى ظروف مختلفة من أجل هذا كانت نشائد هذا السفر الجليل تناسب المؤمن فى ظروف حياته المختلفة . فسفر المزامير متجدد فى كل العصور لا يشيخ ولا يبلى . قال القديس أغسطينوس إن داود لا يزال يؤثر كما أثر قديما فى الملك شاول ! ! من أجل هذا تحث الكنيسة المؤمنين على الصلاة بها قال بولس الرسول مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » اف٥ : ١٩ وقال أيضاً « متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور . له تعليم . له لسان . . . ١ كو ١٤ : ٢٦

وآباء الكنيسة يذكرون أن استعمال المزامير قديم فى الكنيسة . قال فم الذهب « لا أدرى كيف دبرت نعمة الروح القدس أن ينذر به ليلا ونهاراً حتى أن الجميع يتخذونه بأفواههم كالطيب الكثير الثمن فان كان فى الكنائس والاجتماعات العمومية فداود فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء ، وإن كان فى جناز الموتى ومنازل العذارى وصنائع الأيدى فداود هو فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء . فيالها من أمور تفوق الادراك حتى أن الذين لا يعرفون القراءة متى أرادوا أن يتعلموا يبتدئون أولا باقوال داود ويحفظونها فى قلوبهم ، وليس ذكر داود فى المدن والكنائس فقط ، بل هو منشور فى كل صقع واوان وتشرق أنوار أقواله فى الاسواق والشوارع ، فكم من صفوف الهية ينهضها اجتهاد وافر فى الأديرة فلا يقوم فى الأديرة طغمات ملائكية يجهدون فى الصلاة لله الا وداود فى الأول وفى

الوسط وفى الانتهاء . فان كان فى أماكن العذارى المتشبهات بمريم ، وفى مناسك الرجال فى القفار المجتهدين فى صلواتهم يخاطبون الله فداود هو فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء . فكل من كان مستغرقاً بنوم ثقيل من اغتصاب الجسد الطبيعى ويعرض أن ينهض ليلا فى غير وقت يتلقاه داود للحين . كم من تسبحات ملائكية يقيمها لله من عبيده . فالأرض يجعلها سماء والبشر يصيرهم ملائكة . يزين حياتنا بأسرها ويهيىء لنا كل شىء . ينمى الأولاد بالتأديب . يدعو الشبان الى العقل الرصين . يهب العفة للعذارى يمنح الشيوخ تحفظاً ويدعو الخطاة إلى التوبة »

ويقول فم الذهب أيضاً « ان الله تعالى إذ عرف بأى عزم يجتهد الشيطان الخبيث بأن ينزع من الأنفس المسيحية كل تقوى وعبادة بواسطة اللذة الردية الصادرة من قبل الاغانى النجسة ، فأراد تعالى أن يقابل تلك الأغانى الدنسة بهذه التسابيح المقدسة التى تجد بها النفس لذة طاهرة وتعليما منقذاً معاً . لأنه بدلا مما أن تلك النغمات الردية ترخى عزم النفس وتفسدها ، بخلاف ذلك ترتيل المزامير الداودية يطهر النفس ويقدسها . لأن الروح القدس يحل فى النفس العابدة فيما هى ترتل هذه التسابيح الالهية . وكما أنه حيث يوجد طين وحمأة فهناك تسعى الخنازير وبالعكس حيث يوجد زهور عطرة لذيذة فهناك يطوف النحل . هكذا عند صوت الأغانى الدنسة تجتمع الشياطين وعند سماع التسابيح المقدسة تحل نعمة الروح الالهى وتقدس الأنفس بأفواه الذين يرتلون بها »

نظام الصلاة بالمزامير

ويجب أن نصلى بالمزامير سبع صلوات فى اليوم كما قال داود النبى « سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك » مز ١١٩ : ١٦٤ وقد ورد ذلك فى قوانين الكنيسة (١)

ولذلك رتبت البيعة مزامير وتسابيح وطلبات تصلى فى كل ساعة منها وضمتها فى كتاب يسمى الأجبية أو السواعى ، وهذه الساعات هى باكر أى الساعة الأولى

(١) راجع دسق ٣٧ ، رسطب ٤٧ ، ٦٧ ، بدس ٢٧ و٢٤ ، بس ٢٨

وتوافق الساعة السادسة صباحاً فى توقيتنا ، والثالثة وتوافق التاسعة صباحاً ، والسادسة وتوافق الظهر عندنا ، والتاسعة وتوافق الثالثة عصراً ، والحادية عشرة وتوافق الخامسة مساء أو فى الغروب ، والثانية عشر توافق السادسة مساء ، ونصف الليل ثم صلاة الستار وهذه الأخيرة يستعملها الرهبان فقط وجاء فى كتاب قوانين الرسل الواحد والسبعين وهى القوانين التى كتبها الرسل الأطهار وأرسلوها على يد اكليمنضس ما نصه « إذا قمتم بكرة صلوا ، وصلوا فى الساعة الثالثة ، وصلوا السادسة وصلوا الساعة التاسعة ، وصلوا العشاء ، والوقت الذى يصيح فيه الديك أما بكرة فان الله أنار علينا أو أجاز الليل وأتانا بالنهار . والساعة الثالثة هى الساعة التى قضى بيلاطس فيها على الرب ، والساعة السادسة صلب الرب فى تلك الساعة . والساعة التاسعة أسلم الروح وقلقت كل البرية ولما طعن جنبه خرج منه دم وماء ولما صلب خافت الخليقة وارتعدت قدامه بما فعله غير المتأهلين اليهود ولم تحتمل أن تنظر الرب يهزأ به ، والليل تشكروا أنه دفع لكم الليل راحة من التعب الذى فى النهار ، فلنشكر الرب فى هـــذه الأوقات التى قبل عنا فيها المؤامرة عليه والصلب والموت ونزول القبر وقت الغروب . وأما نصف الليل فلكون الختن يرد فيه ولقول داود كنت استيقظ فى نصف الليل واسبحك » (رسطب ٦٧) وعن هذه الصلوات يقول داود النبى مساء وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح ليسمع صوتى مز ٥٥ : ٧

وعن صلاة نصف الليل يقول « فى منتصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام برك » (مز ١١٩ : ٦٢)

ويظهر من سفر الأعمال أن الرسل كانوا يصلون هذه الصلوات فى أوقاتها قال بطرس الرسول إذ كان التلاميذ يطفرون بالألسنة « لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار » اع ٢ : ١٥ وقيل أيضاً « ثم فى الغد فيما هم يسافرون ويقتربون الى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلى نحو الساعة السادسة اع ١٠ : ٩ وقيل عن صلاة الساعة التاسعة « وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل فى ساعة الصلاة التاسعة » اع ٣ : ١

وقيل عن صلاة نصف الليل « ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما » اع ١٦ : ٢٥

ومن هذا يستدل تماما على أن تلاميذ ربنا كانوا يستعملون هذه الصلوات بانتظام ولهذا رتبت الكنيسة السبع صلوات ليصلى بها الشعب فى الصـــلاة الانفرادية أو الجمهورية

صلاة باكر

وتسمى صلاة الساعة الأولى من النهار أو صلاة الفجر إذ تكون قبل شروق الشمس عند الانتباه والقيام من النوم ، وجاء فى قوانين الرسل أن نصليها بعد ما نغسل أيدينا بالماء وقبل الاشتغال بأى عمل وهى فى الواقع تقدم لله شكراً إذ اجاز الليل بسلام وأتى بنا إلى نور الصباح ولذا نسأله أن يجعلنا بنى النور ، وتذكرنا أيضاً بمراحم الله الذى يشرق على الأبرار والأشرار وهى إذ تكون فى بدء النهار تذكرنا أيضاً بابداع الله تعالى للكون ، فاذ يفتح الانسان عينيه يقول « أرى السموات أعمال أصابعك . . . والقمر والنجوم أنت أسستها . . . من هو الانسان . . اخضعت كل شىء تحت قدميه الغنم والبقر . . . وطيور السماء واسماك البحر »

وتذكرنا بميلاد يسوع « انت ابنى أنا اليوم ولدتك . . . » (مز ٢) ولذلك نقرأ فيهـــا الانجيل الذى أوله « فى البدء كان الكلمة » وتذكرنا بقيامة يسوع لأنه قد قام باكراً فى صباح الأحد « من أجل هذا فرح قلبى وتهلل لسانى وأيضاً جسدى يسكن على الرجاء لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً » مز ١٥

صلاة الساعة الثالثة

رتبت هذه الصلاة تذكاراً لحكم بيلاطس على السيد المسيح فى تلك الساعة بالصلب وقد أسلم يسوع لأعدائه ليمثلوا به لذلك يقول النبى عن يسوع « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك اسم إله يعقوب . . » مز ١٩

ويقول يسوع على لسان النبي « ان سلكت فى وسط ظلال الموت فلا أخاف شراً لأنك أنت معى . . »

وفى هذه الساعة شهدوا زوراً على يسوع لذلك يقول بلسان النبي « تدمدم على جميع اعدائى وتشاوروا على بالسوء وكلاما مخالفاً للناموس رتبوا على . » مز ٤٠

ولقد حكم بيلاطس على يسوع حكما ظالماً لذلك يقول على لسان النبي « احكم لى يارب فانى بدعتى سلكت . . . » مز ٢٥

ولقد تسلبه الأعداء فى هذه الساعة ليهينوه ثم يصلبوه وكانوا يحسبون أنهم بهذا قد أنهوا كل شيء ولكن يسوع يقول « اعظمك يارب لأنك احتضنتنى ولم تشمت بى أعدائى . . . » مز ٢٩

وتذكرنا صلاة الساعة الثالثة أيضاً بحلول الروح القدس على التلاميذ فنطقوا بالتمجيد لله ، لذلك يقول النبي « قدموا للرب يا أبناء الله . . قدموا للرب مجداً وكرامة »

وقد حدث عند حلول الروح القدس صوت عظيم كما من ريح عاصف لذلك يقول النبي «صوت الرب بقوة صوت الرب بجلال عظيم . . . صوت الرب يقطع لهيب النار صوت الرب يزلزل القفر . . »

ولقد نطق التلاميذ كل بلغة مختلفة معطياً المجد لله فيقول النبي « وفى هيكله المقدس كل واحد ينطق بالمجد » مز ٢٨

ونقول فى صلاة هذه الساعة أيضاً « فاض قلبى بكلام صالح . . » مز ٤٤ لنعبر عن نعم الروح القدس التى جعلت التلاميذ يفيضون بكلام الروح والحق ولذلك نصلى فيها انجيل حلول الروح القدس الذى أوله « فاذا جاء المعزى الروح القدس . . . »

صلاة الساعة السادسة :

ونصليها فى الوقت الذى صلب فيه يسوع على الصليب إذ سمرت يداه ورجلاه بالمسامير .

فنستعيد فيها كلمات يسوع بلسان داود النبي إذ يقول « إن الغرباء قاموا على والأقوياء طلبوا نفسى . . . »

ويشكو من معاملة بنى البشر له وقت صلبه إن كان بكلام الاستهزاء أو الطعنات قائلا « أسنان أبناء البشر سلاح وسهام ، لسانهم سيف مرهف »

ويقول عن وثق رجليه « نصبوا لرجلى فخاخاً وأحنوا رأسى »

وإذ يتكلم عن مكان الجلجثة القفر يقول « لأن نفسى عطشت اليك لكى يزهر لك جسدى فى أرض مقفرة وموضع غير مسلوك ومكان بلا ماء » مز ٦٢ ولأن يسوع يتمجد على الصليب بخلاصه بنى البشر يقول «يتجلى إله الآلهة فى صهيون» مز ٨٣

وإذ قد صار التكفير عن خطايانا بصليب السيد المسيح يقول داود بلسان رب المجد «رضيت يارب عن أرضك رددت سبى يعقوب غفرت آثام شعبك . . . » مز ٨٤

وهكذا يصير الملك للرب إذ خلصه من يد الشيطان فيقول داود « الرب قد ملك ولبس الجلال، لبس الرب القوة وتمنطق بها لأنه ثبت المسكونة فلن تتزعزع» مز ٩٢

صلاة الساعة التاسعة :

فى هذه الساعة كان يسوع على الصليب لذلك نصلى فيها فى المزمور قائلين «قولوا بين الأمم إن الرب قد ملك على خشبة . . . » مز ٩٥

وفى هذه الساعة كانت ظلمة على وجه الأرض وهاجت الطبيعة فتزلزلت الجبال وتشققت الصخور لذلك يقول النبي « سحاب وضباب حوله . العدل والقضاء قوام كرسيه . . . نظرت الأرض فتزلزلت. ذابت الجبال مثل الشمع من وجه الرب، من وجه رب الأرض كلها » مز ٩٦

وإذ تكتنف يسوع أوجاع الموت وهو على الصليب يقول «لأن أوجاع الموت قد اكتنفتنى ، وشدائد الجحيم أصابتنى ، ضيقاً وحزناً وجدت . . . » مز ١١٤

وإذ أسلم الروح فى تلك الساعة وذهبت لتبشر الذين هم فى المطابق السفلى وكان فى هذا الراحة لها يقول « ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك » مز ١١٤

وحيث أن يسوع ببذل ذاته على الصليب قد خلص العالم لنفسه يقول النبي « سبحوا الرب تسبيحاً جديداً ، لأن الرب قد صنع أعمالا عجيبة ، أحيت له يمينه وذراعه القدوسة ، أعلن الرب خلاصه . . . » مز ٩٧

ولأن الرب قد خلص العالم بموته فى هذه الساعة لذلك نلاحظ فيها كلمات التهليل والفرح لنصرة يسوع وهو على الصليب فيقول النبي «الرب قد ملك فلتتهلل الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة» مز ٩٦ وغيرها من الكلمات مثل التهليل . . .الترنم . . . التسبيح . . . هللوا للرب . . . رتلوا بالقيثارة وأصوات المزمار . . .

صلاة الساعة الحادية عشرة :

وتسمى أيضاً صلاة الغروب ، وفيها انزل يسوع من على الصليب ولفه يوسف الرامى ونيقوديموس بالأطياب والأكفان وقد ظنت الأمم أن يسوع قد مات وأن رسالته قد انتهت ولكن يسوع يصور هذه الحال بلسان داود النبي فيقول « أحاطوا بى مثل النحل حول الشهد والتهبوا كنار فى شوك . . . يمين الرب صنعت قوة فلن أموت بعد بل أحيا . . . تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى . . . الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأس الزاوية . . . » ثم يذكر هذا اليوم انه يوم الخلاص فيقول « هذا هو اليوم الذى صنعه الرب » مز ١١٧

وهذه الصلاة تذكرنا بانتهاء نهار الحياة واتياننا إلى وقت الغروب وقت الحصاد وقد زرعنا بالتعب فلنحصد بالابتهاج ونقول مع النبي « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج » مز ١٢٥

وتذكرنا بقصورنا فى عمل البر لذلك نسأله أن يجعلنا من أصحاب الساعة الحادية عشرة الذين لم يحرموا من النصيب الصالح .

صلاة الساعة الثانية عشرة :

أو صلاة النوم وفى هذه الساعة دفن يسوع فى القبر الذى وهبه له يوسف الرامى ولذلك يقول النبي مايتفق مع هذا المقام « من الأعماق صرخت اليك يارب . . . » مز ١٢٩ ويقول فيها أيضاً السيد المسيح « أخرج من الحبس نفسى . . . » مز ١٤١

ونصلى هذه الصلاة فى الليل كما يقول النبي فى الليالى ارفعوا أيديكم إلى القدس وباركوا الرب . . . » مز ١٣٣

وتذكرنا هذه الصلاة بأننا عتيدون أن نقف أمام الديان العادل وأن العمر سينقضى كما انقضى النهار السابق لذلك يجب أن نسارع دائماً إلى التوبة .

وفيها نقدم الشكر لله الذى أتى بنا إلى هجعة الليل الذى جعله راحة لنا من عناء الجسد فنتذكر الراحة الأبدية العتيدة أن تكون .

صلاة نصف الليل :

وتقسم هذه الصلاة إلى ثلاث خدم وهى تذكرنا بمجيء السيد المسيح الذى كنى عنه بالختن ولذلك وجب علينا أن نكون مستعدين مثل الخمس العذارى الحكيمات حتى إذا جاء السيد وجد مصابيحنا مملوءة بزيت الأعمال الصالحة ووجدنا بلا عيب فننال الطوبى كما قال النبي فى هـــذه الصلاة « طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق السالكون فى ناموس الرب » مز ١١٨

فهذه الصلاة تذكرنا بحضور الديان لذلك وجب علينا التيقظ والسهر والصلاة والتوبة بندامة متزايدة اذ يكفى تذكر الدينونة الرهيبة أن يدفعنا دائماً إلى الفضيلة .

وفى سهرنا فى هذه الصلاة معنى الانتظار والاستعداد كما قال رب المجد « وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . . . وإن أتى فى الهزيع الثانى أو فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لاولئك العبيد » لو ١٢ : ٣٦ - ٣٨

صلاة الستار :

وهى تخص الآباء الرهبان يصلونها قبل النوم وهى تحوى ٢٨ مزموراً وفقرات من المزمور الـ ١١٨ ويراد بهذه الصلوات أن يراجع الراهب أفكاره قبل نومه ويطلب من الله أن يقوى فيه النعمة للنهوض دائماً للتسبيح والتمجيد .

الفصل الخامس والعشرون

صلاة القداس ووجوبها

مما لاشك فيه أن صلاة القداس تسمو على كل صلاة لأن بها يحضر ابن الله بيننا على المائدة المقدسة ، ومن أجل ذلك كانت الصلاة لازمة لاستمرار حياتنا ونمونا الروحي . وليست هناك صلاة يمكن أن يقال انها تغنينا عن صلاة القداس .

والقداس يحوى كل مطالب الروح والجسد وابتهالات من أجل الجميع كما أوصى بولس الرسول «فاطلب قبل كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » اتى ٢ : ١ - ٣

والدسقولية أيضاً تأمرنا « بعد قراءة الانجيل فليصل من أجل المرضى والغرباء والمتضايقين وعلى الأثمار والهواء ومن أجل الملوك والذين رقدوا والذين يأتون بالقرابين إلى الكنيسة والذين يصنعونها والموعوظين ومن أجل سلامة الكنيسة الجامعة والاسقف والاكليروس وجميع الشعب »

فى القداس ٢١ طلبة وأوشيه وهذه على عدد الأيام التى مكثها دانيال النبى بالصوم والصلاة والبكاء راقداً على ضفاف نهر الفرات ثم تقبل السلام من الملوك واستحق أن يرد شعب الله من أرض بابل إلى وطنه الأصلى .

وكانت العادة قديماً عندنا أن يصلى القداس فى كل يوم فيما عدا يوم السبت ولذلك نجد فى القطارس القراءات الخاصة بالقداسات على مدار السنة . ولا زال رهبان الدير المحرق يصلون القداسات يومياً ولكنهم يصلون أيضاً قداساً كل يوم سبت

ويقول بعض المفسرين إن الكنيسة تصلى قداس يوم الأحد لأجل الكهنة والشمامسة والموتى والمؤمنين لأن فى هذا اليوم خلق الله تعالى السموات والأرض وفيه قام السيد من الأموات

وتصلى يوم الاثنين للتائبين والملائكة لأن الله فى هذا اليوم خلق الجلد فهو إذاً يوم يتعلق بالملائكة .

وتصلى يوم الثلاثاء من أجل خطية العالم وذلك لأن فى هذا اليوم خلق الله تعالى النباتات ، والخطية دخلت إلى العالم بتعدى الانسان بأكله من الثمرة .

وتصلى يوم الأربعاء لوالدة الاله لأن المؤامرة على السيد المسيح كانت فى هذا اليوم ولأجل هذا حزنت السيدة العذراء . ولأن فى هذا اليوم صلى الرسل أول قداس بعد صومهم وحضرته السيدة .

وتصلى يوم الخميس لأجل الأنبياء والرسل والآباء والعلماء والنساك وذلك حتى يكون تذكارهم بعد والدة الاله ولأن الله تعالى خلق فى هذا اليوم الطيور والدبابات والحيوانات فتذكر الكنيسة الآباء فى هذا اليوم لأنهم تشبهوا بالطيور وأنواع الحيوانات فى الوداعة والطهارة والشجاعة والاحتمال والسمو .

وتصلى يوم الجمعة للصليب ولحفظ الأحياء وراحة الموتى ولكل من له شركة فى البيعة وذلك لأن فى ذلك اليوم كان تجسد الفادى وكان صلبه وموته .

وبهذا تقوم الكنيسة بواجبها من نحو الأحياء والأموات والقديسين والملائكة

وصلاة القداس واجبة لتتميم العبادة فى القديم كانت التقدمة نوعين : ذبيحة المحرقة وذبيحة الخطية . فى شريعة تطهير الوالدة . . ورسامة هرون .. وغيرها كانت الأولى تحرق والثانية تقدم حية فيضعون الأيدى عليها ثم يبعثونها فى القفر وهكذا فان السيد المسيح قدم نفسه ذبيحة غير دموية . وكما كان هارون الكاهن يضع يديه على الذبيحة نيابة عن الشعب هكذا هنا يفعل الكاهن اذ يضع يديه على الأسرار المقدسة .

والقداس ضرورى أيضاً لأن الرب أمرنا بعمله إذ قال « اصنعوا هذا لذكرى» ١ كو ١١ : ٢٤

فى مائدة الرب ذكرى آلامه وذكرى دفنه وذكرى قيامته . بل ذكرى حياة السيد على الأرض من أولها إلى آخرها .

ولوجوب القداس كان التلاميذ يواظبون على اقامته كما يذكر لوقا البشير فى سفر الأعمال قائلا إن الكنيسة فى اليهودية والجليل والسامرة كانت متمتعة بالسلام وسائرة فى مخافة الرب وكانت ممتلئة من عزاء الروح القدس وكان المؤمنون مواظبين على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات (اع ٩ : ٣١ ، ٢ : ٤٢)

الفصل السادس والعشرون

الاتجاه للشرق

لا شك أن الصلاة تجوز فى كل مكان ، وأن الله مالىء الكون فأينما اتجهنا فإنه يوجد ، والكنائس الرسولية قد اصطلحت على التوجه فى الصلاة ناحية الشرق لجملة أسباب :

أولا ـ على سبيل النظام والهنا اله نظام لا إله تشويش ، ولما أراد أن يطعم الآلاف قال أجلسوهم فرقاً فرقاً خمسين خمسين ولا شك أنه أمر مرتب أن يتجه كل المصلين إلى ناحية واحدة من أن يتجهوا فى اتجاهات مختلفة ومعروف أن الصلاة المستجابة تكون باتفاق رأى وبلا جدال كما يقول الرسول « فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال »

ثانياً ـ وإذا كان لابد من أن يتفق المؤمنون على جهة ينتظمون إليها فى الصلاة اتفقوا على الاتجاه للشرق حتى تتطلع ناحية الفردوس الذى خرجنا منه ، وكأننا نحن فى موقفنا هذا نلتمس من الله باشتياق أن يعيدنا إلى رتبتنا الأولى، وفى هذا يقول مار افرآم « إن اليهود كانوا يستقبلون أورشليم فى صلاتهم لأنها مدينة مقدسهم ونحن مقدسنا الفردوس مسكننا القديم من حيث أنه كان فى الشرق أمرنا أن نجعله قبلتنا فى صلاتنا »

ثالثا ـ لما ولد السيد المسيح مخلصنا الصالح ظهر نجمه فى الشرق

رابعاً ـ إن السيد بعد قيامته جمع تلاميذه على جبل الزيتون وهو فى المشرق قبالة أورشليم ويذكر ذلك زكريا النبى « وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام اورشليم من الشرق . . . » زك ١٤ : ٤ وكما صعد السيد المسيح فى ناحية المشارق كذلك أيضاً سيأتى من ناحية المشارق فنحن إذ نتطلع إلى تلك الناحية انما ننتظر مجيئه كما قال الملاكان « إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا

كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء » اع ١ : ١١

خامساً - يذكر القديس اثناسيوس الرسولى أن من الأسباب التى توجب الاتجاه ناحية الشرق فى الصلاة أن يسوع لما علق على الصليب كان وجهه نحو الغرب ومن هذا وجب علينا أن نتطلع إلى المصلوب إلى ناحية الشرق(١) ولذلك توضع صورة يسوع فى الكنائس متجهة إلى الغرب كما فعل هو

سادساً - حيث أن يسوع يدعى النور، وهو خالق النور، لذلك فإذ نحن نتطلع إلى ناحية الشرق حيث تشرق شمس الطبيعة إنما نفكر فى يسوع شمس البر والشفاء فى أجنحتها ملا ٤ : ٢ وهو الذى دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب

سابعاً - إننا نتجه إلى الشرق لنتميز عن اليهود الذين يصلون إلى جهة الغرب

ثامناً - جاء فى كتاب السنن وهو مجموع القوانين التى وضعها الرسل وهم مجتمعون فى العلية قبل أن ينتشروا للكرازة ما نصه « أن تكون صلاتهم نحو المشرق وقبالته واستشهدوا فى ذلك بما قاله الرب إن الله عند مجيئه من السماء فى آخر الأيام يأتى كالبرق الذى يلمع فى المشرق فيرى فى المغرب(٢) »

وتاريخ آباء الكنيسة يؤيد عادة الاتجاه إلى الشرق فى الصلاة فقد ذكر عن عن الأب أرسانيوس أنه كان يقف خارج قلايته فى ليلة الأحد والشمس من ورائه ويبسط يديه للصلاة حتى تطلع أمامه ومن ثم يجلس

(١) راجع كتاب منارة الأقداس للروم ص ١٩

(٢) السنة الأولى ورقة ٤

الفصل السابع والعشرون

الليترجيات

يذكر البشيرون أن السيد لما أخذ الخبز شكر وبارك وقدس وكسر ولا شك أن الشكر والبركة والتقديس تمت بكلمات نطقها السيد وفهمها التلاميذ بل لابد أنهم قد حفظوها بعناية فائقة وأن نعمة الروح القدس قد أرشدتهم إلى استمرار تذكرها كما تذكروا كلمات السيد المسيح الأخرى فى مختلف المواقف . وهذه الكلمات المباركة هى كلمات القداس الالهى الذى يعتبر أعظم وأجل خدمة يؤديها الكاهن فى كنائسنا

ويسمى القداس عندنا (أنافورا) ἀναφορά وهى كلمة يونانية معناها (رفع القربان) أو تقدمه أو قربان أو رتبة القداس ومعناها أيضاً منديل أو لفافة التى يغطى بها الجسد أو الكأس وذلك لأن القداس يبدأ من كشف الستار عن الذبيحة ، ويطلق عليه هذه التسمية أيضاً فى كنيسة أورشليم وكنيسة انطاكية ويسمى عند اليونان الخولوجيون εὐχολόγιον

ويسمى عند اللاتين وفى كنيسة القسطنطينية (ليترجيا) Λειτωργια أى الخدمة الجمهورية .

وفيما هم يخدمون الرب ويصومون (اع ١٣ : ١٢) . . . ومعناها أيضاً رتبة شريفة أو الخدمة المستعملة فى حفلة الافخارستيا .

وكلمة قداس تطلق على مجموع الصلوات التى تتلى فى الخدمة الالهية لتقديس الأسرار

وأول قداس هو الذى صلاه رب المجد فى العلية الصهيونية فى مساء الخميس الكبير وهو أساس لجميع القداسات التى ألفت من بعده

ويجمع الباحثون على أن القديس يعقوب الرسول أخا الرب ورئيس كهنة أورشليم قد صلى بوحى من الله أول قداس بعد السيد المسيح وكان ذلك فى كنيسة أورشليم فى علية صهيون أو علية الأسرار كما دعوها وكان ذلك يوم الأربعاء الذى جاء عقب العنصرة ومن عجب أن علماء اليهود قد ذكروا أن موسى النبى أدخل المنارة الذهبية إلى القدس فى نهار الأربعاء ، ذلك اليوم ، الذى خلق فيه الله تعالى النيرين العظيمين وكان هو ذات اليوم الذى صلى فيه التلاميذ أول قداس ! !

وقد ذكر يعقوب الرسول نفسه فى بدء قداسه أنه هو الذى صلى أول قداس لذلك دعى هذا الرسول خادم الأسرار ولما سألوه من أين اخذت ذلك أقسم أنه لم يزد ولم ينقص عما سمعه من الرب ويذكر السروجى فى ميمره الـ ٦٢ أن بطرس ويوحنا خدما القداس الثانى ثم سافرا للتبشير فى روميه وعلى ذلك تعتبر ليتروجية القديس يعقوب أقدم الليترجيات جميعاً ولقد استعملت فى كنيسة أورشليم وانطاكية مدة طويلة كما يذكر القديس كيرلس الأورشليمى أنها كانت مستعملة فى عهده ولا زالت هذه الليترجية تستعمل حتى اليوم عند السريان والكلدان وفى الكنيسة المارونية كما أنه لم يزل يصلى بها الروم فى القدس فى عيد مار يعقوب مرة واحدة فى كل سنة ويقع هذا العيد فى ٢٣ من أكتوبر

أما بدء قداس يعقوب الرسول فهو « يا إله الجميع وربهم اجعلنا أيها الحنان نحن غير المستحقين أهلا لهذه الخدمة »

وقد أدخل القديس اغناطيوس النورانى على هذه الليترجية بعض الالحان تسمى Antiqwna وهى تراتيل من المزامير تشبه عندنا الهوسات

وجاء فى كتاب الليترجيات الشرقية والغربية تأليف أغناطيوس أفرام بطريرك السريان الانطاكى ما نصه (١) « ومما يزيد ليترجية مار يعقوب شأناً أن اجزاء ونبذاً

(١) ص ١٧١

منها ولا سيما صلاة الاوخارستيا (وهى دعامة الليترجية) ترد بعبارتها عينها فى ليترجيات كنيسة الاسكندرية ، وهذا القول يدل على قدمية ليترجية القديس يعقوب كما يدل على أن الباحثين حينما يرغبون التأكد من شىء يقارنونه بكنيسة الاسكندرية

ليترجية مرقس الرسول

وتعتبر ليترجية مرقس الرسول معاصرة لليترجية يعقوب الرسول كما يقرر علماء الليترجيات ومنهم العلامة Neale . والليترجيتان متشابهتان تماما حتى أن علماء الليترجيات قد أشكل عليهم أن يعرفوا أيهما أقدم وأيهما أخذت عن الأخرى ولكن الحقيقة أن الاثنتين أخذتا عن ليترجية رب المجد .

ويوجد من ليترجية مار مرقس بعض الرقوق باللغة القبطية فى خزانة الفاتيكان ويقول الخبراء إنها ترجع الى القرن الثامن المسيحى وفى هذه الأوراق أو شية الملك والمجمع وأوشية المضطجعين

كما توجد ورقة من البردى فى خزانة أوكسفورد مكتوبة باليونانية وقد عثر على هذه الورقة فى الصعيد فى قرية بلميزه بدير مار افولون الذى تهدم فى القرن الثامن ويقول العلماء إنها ترجع إلى القرن السابع الميلادى .

ليترجية عهد ربنا

ومن أقدم الليترجيات التى عرفناها ليترجية عهد ربنا ، وقد وجد فى مكتبة الفاتيكان ترجمة خطية لهذه الليترجية وقد جاء فى حاشية فيها أن مترجم هذه الليترجية من القبطية إلى العربية هو الشيخ الرئيس الحكيم الفاضل تاج الرئاسة أبو اسحق ابن النجيب فضل الله وأن الأصل القبطى لهذه الترجمة هو نسخة بخط قمماس بطريرك الاسكندرية سنة ٦٤٣ ش (الموافق سنة ٩٠١ م وسنة ٣١٣ هـ) ومما يدل على أن هذه الليترجية قديمة جداً خلوها من تسبحة التقديس الثلاثى ومقدمتها . كذلك تشتمل إحدى الطلبات منها على ذكر موهبة التكلم بالألسنة ومواهب الوحى والشفاء

ومعروف أن هذه المواهب قد انقطعت فى أواخر القرن الثانى . واليك نص الفقرة الى ورد فيها ذلك « اسند يا رب حتى النهاية الذين لهم مواهب الوحى وايد الذين لهم موهبة الشفاء وعزز الذين لهم منحة الألسنة . . . »

والكتاب أو لمجموعة التى يطلق عليها علماء الآثاراسم القوانين الرسولية (وقدوجد فيها ترجمة قديمة جداً باللغة اللاتينية) تشمل ليترجية عهد ربنا ولكنها موجزة ولا تتضمن التذكارات الموجودة فى ليترجية عهد ربنا فى النسخة التى سبق ذكرها ويقول بعض العلماء إن هذه النسخة الأخيرة أى الموجودة فى مجموعة القوانين الرسولية هى الأقدم

وإليك مقدمة قداس عهـــد ربنا حسب النسخة التى بخط قسماس بطريرك الاسكندرية والتى ترجمها إلى العربية تاج الرئاسة أبو اسحق فضل الله المار ذكره(١)

« وقبل أن يقدس فليعط الشعب السلام بعضهم لبعض بقبلة طاهرة والايبوديا كونيون فليغلقوا ابواب الكنيسة ويكون سكوت عظيم وهدوء وليصرخ الشماس قائلا : ضعوا قلوبكم فى السماء .

من كان بينه وبين صاحبه حقد فليصطلح معه

من كانت سريرته توبخه على الخطايا فليعترف بها

من كان غريباً فى أفكاره عن وصايا الرب يسوع فلينصرف

من هو فى سيئة فلا يتوار . فانه لا يحتفى

من هو مريض بمشورات مردودة فلا يدخل نفسه

من هو دنس ومن لم يثبت فلينصرف

من رفض كتب الله فليذهب لينجى نفسه من غضب الوحيد

من استحى أن يعترف بصلب المسيح فليذهب هاربا من تهديد ربنا

(١) وهذا ما قرأته بالنص ايضاً فى كتاب الدسخلية عهد ربنا يسوع المسيح إلهنا الذى صنعه مع تلاميذه بعد قيامته من الأموات والكتاب بخط اليد

لأن لنا ابا الأنوار وابنه الوحيد وروح القدس ويتطلعون على اعمالنا وينظرون إلى أفكارنا والملائكة يمشون فى وسطنا ويختلطون بنا

فانظروا واشفقوا على نفوسكم ولا تمسكوا شرائر قلوبكم بعضكم على بعض بأى نوع كان

لنقرب لخلاص الحياة وللطهارة

بحكمة الله فلنكن مستعدين لأن نأخذ باستحقاق الموهبة التى أنعم بها علينا وبعد هذا يقول الأسقف بصوت مملوء نغمة : الرب معكم

وليقل الشعب : ومع روحك — ويقول الأسقف ارفعوا قلوبكم إلى فوق

فيقول الشعب : يستحق ويستوجب . . . ثم يبدأ فى القداس الطاهر

ليترجية المراسيم الرسولية

وتعتبر هذه من الليترجيات القديمة وهى موجودة فى آخر الكتاب الثامن من المجموعة المعروفة باسم المراسيم الرسولية وهذه الليترجية مسهبة جداً وخالية من الصلاة الربية ومقدمتها ولكنها تحوى تسبحة التقديس الثلاثى .

وتنسب هذه الليترجية إلى اقليموس الرومانى تلميذ الرسل، وقد كتبها على مثال ماكان يعقوب بن زبدى يقدس وبدؤها « ايها الاله يا من هو بحر الجود »

ليترجية سرابيون

وهى من الليترجيات القديمة ومنسوبة إلى سرابيون أسقف توميس وقد كان صديقاً لأثناسيوس الرسولى ويقول العلماء إن هذه الليترجية تخص الكنيسة القبطية وإن جزءاً منها من أول قدوس إلى بدء كلام التقديس هو بحروفه فى ليترجية مرقس الرسول

وما دامت هذه الليترجية تخص الكنيسة القبطية كما يقول العلماء لذلك جدير بنا أن نأتى على نصها لما له من أهمية لمحى هذه البحوث القيمة والنص الأصلى لهذه الليترجية موجود فى خزانة الكتب اليونانية فى جبل آثوس

صلاة القداس للأسقف سرابيون

إنه لائق وعدل أن نمدحك يا أبا الابن الوحيد يسوع المسيح وأن نسبحك بالأناشيد ونمجدك . نمدحك أيها الإله غير المخلوق وغير المستقصى . وغير المعبر عنه والذى لا تدركه أية خليقة كانت . نمدحك يا من يعرفك ابنك الوحيد الذى أخبر عنك وأوضحك وأظهرك للخليقة . نمدحك يا من تعرف ابنك وتكشف للقديسين أمجاده يا من يعرفك الكلمة المولود منك ويعرفك ويبينك للقديسين . نمدحك أيها الأب غير المنظور يا مانح الخلود . أنت ينبوع الحياة ومصدر النور . وأصل كل منة وكل حقيقة . يا محب البشر ومعز الفقراء . يا من تسالم الجميع وتجتذبهم اليك بافتقاد ابنك الحبيب . نتضرع اليك كى تحيينا . هبنا روحاً نيراً لنعرفك أنت الإله الحق ، وأن الذى أرسلته هو يسوع المسيح . امنحنا الروح القدوس لنقوى على إذاعة ونشر أسرارك غير الموصوفة فليتكلم فينا الرب يسوع والروح القدوس ويبجلك بواسطتنا بالأناشيد . أنت هو الإله المتعالى الذى يقوم أمامك ألوف ألوف وربوات ربوات من الملائكة ورؤساء الملائكة . الكراسى . الأرباب . السلطنات . القوات . أنت القائم أمامك الحيوانان المكرمان جداً صاحبا الأجنحة الستة .

السرافيم بجناحين يحجبان وجوههم وبجناحين يستران أرجلهم وبجناحين يطيران ويقدسانك . فمع كل من يقدسك أقبل يارب تقديسنا نحن لنسبحك معهم قائلين : قدوس

الكاهن : قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك يا رب القوات . حقاً السماء والأرض مملوءتان من بهاء مجدك . املأ يا رب هذه الضحية من قوتك ومن شركتك .

ثم يقول : اليك رفعنا هذه الضحية الحية القربان غير الدموى . اليك رفعنا هذا الخبز جسد الابن الوحيد . وهذا الخبز هو شبه الجسد الاقدس . لأن الرب يسوع المسيح فى الليلة التى كان يسلم فيها أخذ خبزاً وكسر وأعطى تلاميذه قائلا : خذوا

كلوا هذا هو جسدى الذى يكسر عنكم لغفران الخطايا . ولذلك فاحتفاء بذكرى موته قربنا الخبز متضرعين . فيا إله الحق ارض عنا واغفر لنا بحق هذه الضحية . وكما كان هذا الخبز مفرقاً فوق الجبال ثم جمع إلى واحد هكذا اجمع كنيستك المقدسة من كل أمة وصقع ، ومن كل مدينة وقرية وبيت واجعلها كنيسة حية جامعة . وقد قربنا الكأس أيضاً شبه الدم لأن ربنا يسوع المسيح أخذ بعد العشاء كأساً وقال لرسله . خذوا اشربوا . هذا هو العهد الجديد أى دمى الذى يهرق عنكم لغفران الخطايا . ولذلك قربنا نحن أيضاً الكأس ممثلين دمك يا اله القسط فليأت كلمتك القدوس على هذا الخبز ليصير الخبز جسد الكلمة وعلى هذه الكأس لتضحى الكأس دم الحق . واجعل جميع المشتركين أن يأخذوا دواء الحياة . فاننا دعوناك أيها الاله الأزلى بابنك الوحيد وبروح القدس . فليحظ هذا الشعب برحمتك وليؤهل للفلاح . وأرسل الملائكة لعضده واسحق الشر وأيد الكنيسة . نتضرع اليك أيضاً فى جميع الموتى الذين تذكرهم (ويجهر بأسمائهم) . قدس تلك النفوس . . . واحصها مع قديسيك . ومن عليها بمقر الراحة فى الملكوت . تقبل أيضاً شكر شعبك وبارك الذين قربوا القرابين والهدايا الشكرية . وجد على شعبك بالعافية والكمال والفرح والنجاح نفساً وجسداً . بيسوع المسيح ابنك وروح القدس كما كان ويكون وسيكون فى أجيال الأجيال وإلى جميع الدهور آمين .

وسواء كانت ليترجية عهد ربنا أم ليترجية المراسيم الرسولية أو ليترجية الاسقف سرابيون فقد أبطلت ولم تبق إلا آثارها ولا تستعملها الآن الكنائس لكن الكنيسة الحبشية تستعمل ليترجية المخلص وليترجية عهد ربنا وكلتاهما مأخوذتان من ليترجية عهد ربنا مع بعض الزيادة أو النقصان .

ليترجية بطرس الرسول

ومن القداسات القديمة تلك التى الفها بطرس الرسول وله منها ثلاثة قداسات . القداس الأول خدمه فى أورشليم عندما اجتمع مع الرسل للمباحثة بشأن الختان

وضرورته وكان ذلك سنة ٥١ للتجسد وبعد صلاة القداس طلب بطرس ألا يوضع هذا النير على رقاب التلاميذ .

والقداس الثانى خدمه فى مدينة انطاكية حينما أتاها ليبشرها ويضع اليد على المؤمنين وبدؤه: المرتفع على العالمين.

والثالث صلاة عند نياحة السيدة العذراء وحضره سائر الرسل ولذلك يسمى قداس الرسل وبدؤه : ثبت أيها الرب قلوبنا .

ليترجية يوحنا الرسول

وليوحنا الرسول قداس يسمى قداس السيدة لأنها كانت تحضره وتتناول من يد الرسول وقد الفه فى أورشليم قبل رحيله للتبشير بدؤه « أيها الاله الجبار يا من أنت هو الحب الخالص والامن غير المقهور »

وهناك قداسات عديدة معتبره بلغ عددها ٥٨ قداساً ومن أشهرها :

قداس لوقا البشير أو قداس الاثنى عشر رسولا لأن لوقا قد كتبه باسم الاثنى عشر على مثال ماكان يراهم يقدسون وبدؤه « ايها الاله الرحوم القدوس يا من أنلتنا مائدة روحية بواسطة ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح»

قداس ديوناسيوس الاريوباغى قاضى مدينة أثينا وهو تلميذبولس الرسول وبدؤه « أيها الاله الذى هو الاب الجزيل الغبطة والمنفرد بالجود »

قداس اثناسيوس الاسكندرى البطريرك العشرين وبدؤه أيها الرب إله القوات »

قداس كيرلس الاورشليمى وبدؤه « أيها الرب الإله الرحوم والقدوس والضابط الكل »

قداس : باسيليوس الكبادوكى وبدؤه الإله العظيم الأبدى .

قداس غريغوريوس النيزينزى أو الثاؤلوغوس الذى كان بطريركا على نيزينزة ثم على القسطنطينية ثم رجع ثانية إلى كرسيه الأول وبدؤه « أيها الرب الإله السيد يا بحر الامن وينبوع السلام »

قداس القديس يوحنا فم الذهب وهو اختصار القداس الباسيلى وبدؤه « أيها الرب الإله الضابط الكل أنت الأمن والسلام والحب وينبوع الرحمة »

ويذكر فرقليوس تلميذ فم الذهب أنه فى زمان هذا القديس كان الكهنة لا يزالون يقدسون بقداسات الرسل التى كانت طويلة لحرارة الايمان ولكن إذ أخذت الروح تضعف اختصر فم الذهب مقالاتهم ليجذب الناس إلى العبادة دون ملل ولهذا نجد من قداس هذا القديس نسخاً مطولة ونسخاً مختصرة حسب مقتضيات الظروف (١)

قداس القديس يعقوب السروجى وله قداسان الأول بدؤه « أيها الإله الصانع الكل » والثانى بدؤه « أيها الإله الأب الذى أنت هو الأمان غير المحدود والسلام المتواصل والحب غير المنفصم »

قداس القديس ديسقورس الاسكندى وبدؤه « أيها النور يا نهر الأمن وبحر السلام . أنت الحب الكامل »

قداس القديس تيموثاؤس الاسكندرى وبدؤه « الاله الذى هو خالى من كل غش »

قداس القديس ساويرس الانطاكى وبدؤه « أيها الاله صانع الكل »

قداس : يعقوب البرادعى أسقف الرها وبدؤه « أيها الاله أبو السلام ذاك القدوس »

قداس يعقوب الرهاوى الذى بدؤه « أيها الاله أبو الجميع وسيد السادات »

قداس يوحنا صاحب الشذرات ، وبدؤه « أيها الاله الذى تفرح بالحب »

---

(١) منارة الأقداس للدويهى جزء ٢ ص ١٥١

قداس أغناطيوس النورانى الذى كان بطريركا على انطاكية وبدؤه «أيها الاله الأب القدوس يا والد النور الأزلى»

قداس أثناسيوس الرسولى وبدؤه «أيها الرب إله القدرة الذى يسمو كل قوة»

قداس يوحنا اللحفدى وكان على كرسى انطاكية سنة ١١٠٠ م وبدؤه «أيها الرب الاله القدوس بكل شيء»

قداسات الكنيسة القبطية

وتستعمل الكنيسة القبطية من هذه الليترجيات ثلاثاً وهى

القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى وكانت من قبل تستعمل أيضاً قداس متى البشير وجدير بنا أن نتحدث عن كل واحد من قداسات كنيستنا

القداس الباسيلى :

نسبة إلى مصنفه القديس باسيليوس الذى من قيصرية كبادوك وهو من رجال القرن الرابع المسيحى كان أسقفاً لقيصرية ٣٢١ - ٣٧٩ م ومعروف فى التاريخ أن هذا القديس درس الفلسفة واللاهوت فى قيصرية والقسطنطينية وسافر إلى مصر وتزود من رهبانها علماً وروحاً ثم عاد إلى وطنه حيث رسمه القديس أوسابيوس القيصرى كاهناً وبعد نياحته رسم هذا الأب العظيم أسقفاً بدله .

واشتهر هذا القديس بشدة تمسكه بالأرثوذكسية وله مواقف غاية فى الجرأة مع الملك فالنص الأريوس يمكن الرجوع اليها فى كتب التاريخ .

ويوجه الخطاب فى هذا القداس للأب ويعتبر القداس الباسيلى اختصار لقداس مار يعقوب ويستعمل القداس الباسيلى فى الأيام المعتادة على مدار السنة .

القداس الغريغورى :

نسبة إلى القديس غريغوريوس الثاؤلوغوس وهو أسقف نيزينزو ، وقد تعلم فى

قيصرية وفى أثينا وفى مدرسة الاسكندرية وكان صديقا حميما للقديس باسيليوس الكبادركى . ولقد تعمق هذا القديس بدرس العلوم اللاهوتية وألف مقالات برهن فيها على صحة عقيدة الثالوث وغيرها من الحقائق ، لذلك لقبته الكنيسة عن جدارة بالثاؤلوغوس أى الناطق بالالهيات .

وقداسه يوجه فيه الخطاب الى الابن . والظاهر ان السبب فى هذا أنه ألف بعد مجمع نيقيه الذى أثبت فيه اثناسيوس الرسولى لاهوت الابن ودحض بدعة أريوس الهرطوقى .

وقد وجدت نسخة خطية من هذا القداس فى دير ابى مقار كتبت فى عهد البابا بنيامين (١٣٢٧ - ١٣٣٩) وهى موجودة الآن فى المتحف القبطى .

ويقول رينودوت فى مجموعة الليترجيات الشرقية أن الأقباط اعتادوا أن يقدسوا به فى أيام الأعياد ومواسم الفرح .

القداس الكيرلسى

نسبة الى القديس كيرلس بابا الاسكندرية الرابع والعشرون الذى رأس مجمع أفسس وهو فى الأصل قداس مرقس الرسول وقد رتبه هذا القديس وأضاف إليه بعض عبارات كما يقول أبو البركات .

وقد كتبت هذه الليترجية أولا باللغة اليونانية ، ويذكر بعض الباحثين فى علم الليترجيات أنها ترجمت إلى اللغة القبطية باللهجة البحيرية بعد الفتح الاسلامى .

ولطول القداس الكيرلسى قل استعماله بل وقل عارفو ألحانه وكانت النتيجة ان أصبح لا يصلى به إلا مرة واحدة فى السنة فى يوم جمعة ختام الصوم وكان يكثر الصلاة به المتنيح الانبا مكاريوس عندما كان مطراناً لأسيوط . ويقول رينودرت ان هذا القداس كان يصلى به فى الصوم الكبير وفى شهر كيهك . ويقول الأستاذ يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى إن النسخ الخطية الموجودة منه ثلاث .

١) نسخة بمكتبة الجامعة بمسينا يرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر او الثانى عشر .

٢) نسخة فى مكتبة الفاتيكان من القرن الثالث عشر .

٣) نسخة فى مكتبة القديسة كاترين بدير سينا من القرن الثانى عشر او الثالث عشر .

ويوجه الخطاب فى هذا القداس الى الأب كما فى القداس الباسيلى .

قداسات الكنيسة الحبشية

تعتبر الكنيسة القبطية مبشرة الحبشة بالديانة المسيحية وذلك ان اثناسيوس الرسولى بابا الاسكندرية العشرين رسم لبلاد الحبشة أسقفاً اسمه فرمانتيوس وهو اول اسقف رسم لتلك الجهات والأحباش يذكرونه باسم انبا سلامه ، ومن ذلك الحين والكنيسة القبطية هى التى ترسل الأساقفة لبلاد الحبشة ويسمى المطران عندهم (ابونا) .

ولما كانت الكنيسة الحبشية هى ابنة الكنيسة القبطية لذلك نجد ان طقوس الكنيسة الحبشية هى بذاتها طقوس الكنيسة القبطية .

والأحباش ١٥ ليترجية وهى :—

(١) ليترجية منسوبة الى الرسل .

(٢) ليترجية منسوبة الى ربنا يسوع المسيح ومنقولة عن ليترجية عهد ربنا .

(٣) ليترجية منسوبة الى مريم العذراء ونظمها قرياقس أسقف البهنسا .

(٤) ليترجية منسوبة الى يوحنا الرسول .

(٥) ليترجية منسوبة الى اباء مجمع نيقيه .

(٦) ليترجية منسوبة الى اثناسيوس الرسولى .

(٧) ليترجية منسوبة الى غريغوريوس النزينزى .

(٨) ليترجية منسوبة الى غريغوريوس المنور .

(٩) ليترجية منسوبة الى القديس باسيليوس .

(١٠) ليترجية منسوبة الى كيرلس الكبير .

(١١) ليترجية منسوبة الى يعقوب السروجى أسقف سروج (٤٣٤-٥٠٣م) .

(١٢) ليترجية منسوبة الى القديس ديسقورس .

(١٣) ليترجية منسوبة الى متى الرسول .

(١٤) ليترجية منسوبة الى ابيفانيوس المعلم اليونانى الذى كان أسقفاً على سلاميا فى قبرص (٣٥٦-٤٠١)

(١٥) ليترجية منسوبة الى قرياقس بطريرك الكرسى الأفسسى (٢٢٥م)

ولكن القداس المنسوب للرسل هو الأكثر استعمالا فى الكنيسة الحبشية .

الكنيسة اليونانية

وتستعمل الكنيسة اليونانية ثلاث قداسات :

(١) ليترجية القديس باسيليوس وهى مختصرة عن ليترجية كنيستنا القبطية ويصلون بها عشر مرات فى السنة .

(٢) ليترجية القديس يوحنا فم الذهب وهى لمدار السنة .

(٣) ليترجية القديس غريغوريوس الكبير ، ويصلون بها فى الصوم الكبير وكان عندهم بخلاف هذه قداسات لبعقوب أخى الرب ولبطرس الرسول ولأقليموس ولكنهم لايستعملونها الآن .

كنيسة رومية

أما كنيسة رومية فليس عندها إلا قداس واحد هو الذى لبطرس الرسول .

وحدة القداس :

ورغم كثرة عدد الليترجيات ورغم اتساع الكرازة فى الشرق والغرب ورغم تعدد اللغات فإننا نلاحظ أن القداس فى سائر الكنائس الرسولية هو فى جوهره واحد ، وهذه الوحدة ترجع الى أن القداسات جميعاً ترجع الى القداس الذى صلاه

ربنا فى العلية فأخذ عنه الرسل وباقى مؤلفى الليترجيات .

ونلاحظ أن الرسل لما انتشروا للكرازة فى البلاد كانوا يصلون القداس بنظام واحد وبقى هذا الاتفاق فى الطقس مدة طويلة حتى أن الأساقفة فى الكرازات المختلفة كانوا يتبادلون الصلاة ، ولا زال هذا الاتفاق حتى الآن فى جوهر القداس والطقس بين الكنائس الشرقية والغربية خصوصاً بين كنيسة الاسكندرية والكنيسة اليونانية .

وقد ذكر اوسابيوس القيصرى (١) أن بوليكربوس تليذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير (+ ١٦٨) لما ذهب الى روميه ليتباحث مع البابا انيقطس بشأن عيد الفصح دعاه البابا ان يصلى القداس بدلا عنه ومعنى ذلك ان صلاة الليترجية كانت واحدة فى كنائس آسيا وكنيسة روميه .

وجوب الاحتفاظ بألفاظ القداس

وتعنى الكنيسة عناية كبرى بالاحتفاظ بكلمات القداس دون أى تغيير ولم تجز أبداً أى صلاة أخرى مهما كانت لتحل محل صلاة القداس، ويقول القديس كبريانوس حاجا أولئك الذين يصلون صلاة مختلفة فيصفهم بأنهم يمتهنون الأساقفة ويتهاونون بكهنة الله ويتجرأون على نصب مذبح معتزل وعلى تلاوة صلاة مختلفة بألفاظ محرجة ويدنسون بضحايا كاذبة حقيقية القربان الربانى . ويستنتج من ذلك أن المسيحيين قاطبة كانوا يصلون صلاة القداس ثابتة المعانى والألفاظ .

ولنلاحظ أن التمسك بكلمات التقديس ذاتها هو الذى يدفع الكنائس الرسولية الى أن تصلى بذات اللغة التى وضعت بها قداساتها التى تعودت أن تصليها . لذلك نرى الكنيسة القبطية تحث كهنتها على أن يصلوا باللغة القبطية حفظا لروح القداس وألفاظه المباركة الأصيلة . على أن التمادى فى الصلاة باللغة العربية فى القداس يكاد يبعدنا عن روح الكنيسة القبطية المجيدة . وفى ظنى أنه ليس من الضرورى أن

(١) كتاب تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٢٤

يعرف الشعب القداس بحرفيته انما بروحه وبركاته فيرفعون قلوبهم نحو الله فى شركة مع الكاهن حتى يقدموا هم أيضاً ذبائح الشكر للعزة الالهية . وقد جاء فى كتاب منارة الأقداس للدويهى ص١٦٣ « ان القداس ليس هو تعليما ولا موعظة بل طلبات مرتفعة إلى الله الذى يعرف جميع الخطايا » .

لذلك نجد أن كنائس الغرب تصلى قداساتها بلغاتها القديمة فالكاثوليك فى روما يصلون بلغتهم القديمة واليونان يصلون باللغة اليونانية القديمة والأحباش يصلون باللغة الحبشية القديمة المسماة عندهم (جبز) برغم أن هذه اللغات غير معروفة عند الشعب وقليلون هم الذين يفهمونها

هل أدخلت اضافات على القداسات

وكما انه لا يجوز استبدال ألفاظ فى القداس بأخرى كذلك لا يجوز أن يزاد على القداس أو ينقص منه ، صحيح انه قد حدثت اضافات على بعض الليترجيات كما حدث أحيانا بعض الاختصارات ولكن الذى فعل هذا هم قديسون أحسنوا التصرف والواقع أن ما عملوه هى قداسات جديدة سميت بأسمائهم وظلت القداسات الأولى كما هى بلا أية إضافة أو نقصان .

ولا شك أن الليترجية التى نصليها الآن ليست هى بذاتها تلك التى صلاها رب المجد بل قد زيد عليها جملة اضافات

وهذه الاضافات كان لابد منها لأنها نعوت لوصف الآب أحيانا أو الابن أو الروح القدس وهى بغاية التعمق والجلال أو لوصف حال الانسان أحيانا أخرى فمثلا لم يقل رب المجد « وعندما خالفنا وصيتك بغواية الحية سقطنا من الحياة الأبدية . . . وفى آخر الأيام ظهرت لنا ... » أو « تجسد وتأنس وعلمنا طرق الخلاص ...» أو « وقام من الأموات فى اليوم الثالث ... » أو « أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين ...»

كما لا يعقل ان رب المجد قال « أيها الكائن السيد الرب الاله الحق من الاله الحق

الذى أظهر لنا نور الآب ....» أو « فالآن يا الله الآب ضابط الكل فيما نحن نبشر بموت ابنك الوحيد ....»

أما ما صلاه رب المجد فهو تمجيد وشكر للآب وللروح القدس فكانت هذه الصلاة متناً أساسياً لصلاة الليترجيات المختلفة

ولم تدخل الزيادات على قداس ربنا فقط بل على بعض قداسات الآباء ، وقد اضطروا إلى هذه الاضافات ليبينوا حقائق الايمان نظراً لظهور البدع والأضاليل فقصدوا بذلك تثبيت المؤمنين

ومن هذه الاضافات التقديسات الثلاثة ويظهر ذلك جليا فى قداس مرقس الرسول ويعقوب الرسول والقديس باسيليوس اذ بينما نجد أن الخطاب موجه الى الآب اذ به ينتقل الى الثالوث الأقدس ثم يعود ثانية لمخاطبة الآب ففى الأول شكر لله على ابداعه المخلوقات المنظورة وما أسبغه على العالم من نعم وفى الثانى يستأنف الكلام عن خلقة الانسان وسقوطه وعناية الله به اذ أرسل ابنه الحبيب ليفتديه من الموت الأبدى .

ويظهر أن بعض الآباء فى القديم كانوا يجيزون بعض الابتهالات الاضافية أثناء الصلاة بقصد الافاضة فى الشكر ويقول فى ذلك القديس يستينوس الشهيد « إن المترأس فى المحفل يفيض جداً فى أداء الشكر »

ومن الاضافات على صلاة القداس الأواشى أى التذكارات التى يصليها الكاهن كذلك المردات والنداءات التى يناديها الشماس لتنبيه الشعب وكذلك الألحان فمن المؤكد أن القداس فى الأصل كان يخلو من كل ذلك

وقد أخبر القديس يستينس الشهيد أن صلاة الأوخارستيا هى وحدة لا تقطع بمردات وأولها مستحق وعادل ... وختامها ليكن محموداً ومجداً اسمك المبارك مع اسم ابنك يسوع المسيح وروحك القدوس ... كما ورد فى ليترجية مار مرقس ومار يعقوب الكبير فيجاوبونه بقولهم آمين .

الفصل الثامن والعشرون

هل يصلى القداس سراً أم جهاراً

مما لا شك فيه أن رب المجد قد قدس الخبز والخمر فى ليلة العشاء الربانى بصلوات مسموعة وقد أخذ عنه التلاميذ هذه العادة فكانوا يصلون القداس الالهى والمؤمنون يسمعونه

ويؤيد وجوب الصلاة الجهارية معلمنا بولس الرسول اذ قال « وإذا كنت أنت تبارك بالروح فذلك الذى يقوم مقام الأمى كيف يقول آمين على شكرك ١ كو ١٤ : ١٦

ويرد هذا النص فى النسخة اليونانية « كيف تقول آمين على الأوخارستيا والقربان الذى تباركه أنت لأجل أنه لا يعرف ما تقول ... » ومعنى هذا أن الرسل كانوا يقولون صلاة التقديس بصوت مسموع للشعب حتى يفهمونها ويقولون آمين .

ولا تزال الكنيسة القبطية تحافظ على هذه العادة القديمة فتصلى القداس بصوت جهورى ولكن الكنيسة اليونانية أدخلت عادة صلاة القداس سراً الا فى ختام كل صلاة والظاهر أن هذا النظام وجد فى هذه الكنيسة فى القرن السادس بدليل أن جستنيان الملك طلب من الأساقفة والقسوس أن يصلوا الليترجية وصلاة العماد بصوت يسمعه المؤمنون

وجاء فى هذا المنشور « إن الأساقفة والقسوس عندما يعمدون ويقدسون أسرار الرب فليقولوا الكلام بصوت عال ليسمعه الشعب المؤمن ويجاوب آمين ومن أهمل ذلك فسوف يعطى جواباً عن نفسه فى اليوم المخيف قدام الهنا ومخلصنا يسوع المسيح »

وقد تسربت هذه العادات أى سرية الصلاة الى كنيسة الأرمن وكنيسة اللاتين .

فعند اللاتين يصلون سراً حتى كلام التقديس فيصلونه بصوت مسموع وسبب ذلك كما أخبر البابا زخيا الثالث أن عامة الشعب كانوا قد حفظوا كلام التقديس وصاروا يتغنون به فى الأماكن العامة ، فترتب على هذا أن حظرت الكنيسة الرومانية الصلاة الجهارية الا عند قوله « أخذ خبزا ... »

ويذكر صاحب كتاب الليترجيات الشرقية حادثة تاريخية تؤيد وجوب صلاة القداس جهاراً ، وهى أن القديسة ملانيه واذ كانت مريضة طلبت إلى جرتتيوس الكاهن أن يصلى القداس فى المعبد الذى أبتنته فى جبل الزيتون لكى يمكنها أن تسمع الصلاة من الغرفة المجاورة التى كانت منطرحة فيها على فراشها ، وكان الكاهن يرفع الصلوات بصوت منخفض لئلا يزعجها ، فهتفت اليه تقول « اجهر بصوتك فى الصلاة بنوع أبين لا تمتع بلذة الصلاة فأتناول للقربان » .

الفصل التاسع والعشرون

ميزات قداس الكنيسة القبطية

امتازت رتبة قداس الكنيسة القبطية عن غيرها بما يأتى :

١ - صلاة التحليل التى يوجهها الكاهن للابن وأولها « أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد » وفيها يطلب الكاهن المغفرة والحل له وللكهنة والشمامسة والشعب .

٢ - تتميز الكنيسة القبطية بقراءة ثلاث قراءات من العهد الجديد قبل قراءة الانجيل وهى البولس ، والكاثوليكون ، والابركسيس . وهذا يوافق الترتيب الذى ذكر فى كتاب المراسيم الرسولية الثامن

٣ - كما امتازت الكنيسة القبطية بأن يقرأ بعد الانجيل فى آحاد الصوم الكبير والأعياد السيدية الكبرى مقالات تسمى خطب وهى مملوءة حماساً وتعاليم نافعة . وهذه العادة موجودة أيضاً فى الكنيسة السريانية ولكنها كادت تبطل

٤ - تتميز رتبة القداس القبطى بالسجود فى الأيام المعتادة فى الصوم الكبير قبل قراءة انجيل باكر اذ ينبه الكاهن المؤمنين بقوله « لنحن الركب ... لنقف .. لنحن الركب ... لنقف ... الخ » ويصلى الطلبات الخاصة

٥ - تحية الكاهن للشعب بقوله « الله مع جميعكم » وهى مأخوذة عن بولس الرسول « ٢ تس ٣ : ١٦ » ويوجد ما يشابه هذه التحية فى ليترجية عهد ربنا

٦ - تكرار كلمة مستحق وعادل ثلاث مرات

٧ - تتميز ليترجية الأسكندرية بأن الشماس كثيراً ما يقطع صلاة الليترجية ببعض التنبيهات للشعب مثل أيها الجلوس قفوا ... والى الشرق أنظروا ... احنوا رؤوسكم للرب ... وغير ذلك كما أن الشماس عندنا ينادى بالتذكارات (أواشى) من أجل سلامة الكنيسة . والبطريرك . وباقى التذكارات .

أما ليترجية الكنيسة الرومانية فقد سقطت منها تنبيهات الشماس واعلاناته من عهد بعيد (١)

٨ - يمتاز قداس كنيستنا الأصلى وهو قداس مرقس الرسول أو القديس كيرلس بأن التذكارات تقطع صلاة القداس وتأتى قبل حلول الروح القدس .

٩ - وصفت ليترجيات كنيسة الأسكندرية الثلاثة يدى رب المجد بالطوباويتين عند قوله « أخذ خبزاً على يديه ... الطوباويتين »

ولا ترد فى غيرها من الليترجيات الا فى قداس مار باسيليوس عند اليونان .

١٠ - وتمتاز ليترجيات كنيسة الأسكندرية بأنها ذكرت أن ربنا ذاق الكأس ثم أعطاها لتلاميذه وقد شهد بذلك القديس ايريناوس . ويقول فم الذهب « إن ربنا شرب من دمه لئلا يضطربوا ويقولوا كيف نشرب دمه ونأكل جسده ، فقد فعل هو ذلك »

لهذه الأسباب ولغيرها ولميزات كثيرة فى طقس القداس القبطى ينظر العالم المسيحى إلى طقس الكنيسة القبطية نظرة تقدير واحترام ولقد تبوأت الكنيسة القبطية هذا المركز منذ عهد بعيد فيذكر التاريخ أن سينودس مدينة اكويلا الذى التأم سنة ٣٨١م يصرح قائلا « إننا فى جميع الأمور تابعون لنظام ومراسيم كنيسة الأسكندرية» كما يذكر صاحب التأليف المسمى « الكتبة الكنسيين » وهو مجهول الاسم وقد اشتهر فى القرن الحادى عشر « أن الذى ألف قانون الليترجية الرومانية هو اقليموس الأسكندرى » (٢)

﴿ تم الكتاب الأول ويليه الكتاب الثانى ﴾

---

(١) كتاب الليترجيات الشرقية والغربية ص ٢٩٣

(٢) راجع كتاب الليترجية الشرقية والغربية ص ٦٥٨

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة
كلمة لابد منها	٩
الفصل الأول - التقليد	١١
الفصل الثانى - الطقس	١٧
الفصل الثالث	٢٠
شكل الكنيسة الخارجى	
الفصل الرابع	٢٢
لماذا استبدل السبت بالاحد	
الفصل الخامس	٢٥
فناء الكنيسة الخارجى	
الفصل السادس - المنارة والجرس	٢٧
الفصل السابع - أبواب الكنيسة	٢٩
الفصل الثامن - كلمة كنيسة	٣٠
الفصل التاسع - معانى لفظ كنيسة	٣١
الفصل العاشر - الكنيسة وبناؤها	٣٢
الفصل الحادى عشر	٣٤
الفن فى الكنائس	
الفصل الثانى عشر - شكل الكنيسة	٣٥
أقسام الكنيسة	٣٧
الفصل الثالث عشر - الهيكل	٣٨
الفصل الرابع عشر - الحجاب	٤٠
الفصل الخامس عشر - المذبح	٤٤
نبوات عن المذبح	٤٧

الموضوع	صفحة
تسمية المذبح	٤٨
مادة المذبح - المذابح الخشبية	٤٩
المذابح الحجرية	٥١
المذابح المعدنية	٥٢
شكل المذبح	٥٣
عظام القديسين	٥٦
اللوح المقدس	٥٨
القبة	٦٠
أغطية المذبح	٦١
عدد المذابح	٦٢
من له حق الدخول الى المذبح	٦٢
آداب المذبح	٦٣
الفصل السادس عشر-أوانى الخدمة	٦٤
الكرسى	٦٥
الكأس	٦٥
الصينية	٧١
النجم	٧١
الملعقة	٧٢
الصليب	٧٢
كتاب البشارة - درج البخور	٨٠
المبخرة	
البخور	٨٢

الموضوع	صفحة
المراوح	٨٣
اناء حفظ الذخيرة	٨٤
قنينة الميرون	٨٥
أوانى وأدوات أخرى	٨٦
الفصل السابع عشر ـ الايقونات	٨٧
الاقباط وفن التصوير	٩٠
اضطهاد الايقونات	٩٢
ميزات الصور القبطية	٩٤
ترتيب الايقونات	٩٥
المنجلية	٩٧
بيض النعام	٩٨
الفصل الثامن عشر ـ الامبن	٩٩
اللقان	١٠١
الفصل التاسع عشر	١٠٥
المخطس ـ المعمودية	
رتب المصلين	١٠٦
الفصل العشرون	١٠٩
عظمة الكنيسة القبطية	
الفصل الحادى والعشرون	١١٣
تسمية الكنائس	
الفصل الثانى والعشرون	١١٥
القداس ، النبوات عنه	

الموضوع	صفحة
الفصل الثالث والعشرون	١١٨
ليلة الفصح	
الفصل الرابع والعشرون	١٢٣
الصلاة عموماً	
آداب الصلاة	١٢٤
مكان الصلاة	١٢٦
الصلاة بالمزامير	١٢٧
الصل الخامس والعشرون	١٣٦
صلاة القداس ووجوبها	
الفصل السادس والعشرون	١٣٩
الاتجاه للشرق	
الفصل السابع والعشرون	١٤١
الليترجيات	
قداسات الكنيسة القبطية	١٥٠
قداسات الكنيسة الحبشية	١٥٢
الكنيسةاليونانية ـ كنيسةرومية	١٥٣
الاحتفاظ بألفاظ القداس	١٥٤
هل أدخلت اضافات على القداس	١٥٥
الفصل الثامن والعشرون	١٥٧
هل يصلى القداس سراً أم جهاراً	
الفصل التاسع والعشرون	١٥٩
ميزات قداس الكنيسة القبطية	

استدراك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٩	القداس الالهى	الكنيسة
١٤	٤	معووفة	معروفة
١٧	١٣	فيضعون	فيصغون
١٨	٢٢	البشر	البشير
٢٣	١٨	منها	فيها
٤٩	٨	بالمذبح	فالمذبح
٥٢	٨	استخدموا	استخدموها
٧٤	٢	الرس	الرأس
٩٠	٦	يبيعونها	يبيعوها
٩٤	٢٢	اعمه	أعمى
٩٦	٩	موق	فوق
١٠٠	٣	واحدة	واحد
١١٣	١٩	تقدم	تقديم
١١٧	٢	الاقدسى	الاقدس
١٣٩	١١	وإذا	وإذ
١٤٨	٥	صلاة	صلاه
١٥١	١٠	أن	إن

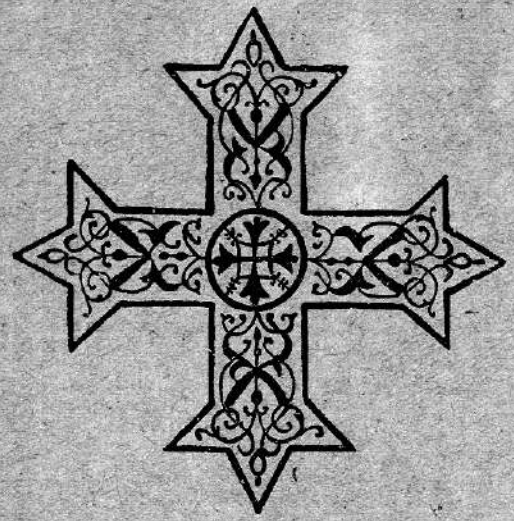

تم الكتاب الأول ويليه الكتاب الثانى